دراسات

المسح الدولي للمخطوطات الإسلامية

إعداد مؤسسة الفرقان

قاسم بن أحمد السامرائي

استاذ في قسم المكتبات والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سابقًا)

خبير مخطوطات وباحث متفرغ - ليدن - هولندا

AL-Furqan Islamic Heritage Foundation, (London), World Survey of Islamic Manuscripts, vol. 1, (1992) xvii+569 pp. ; vol. 2, (1993) ; vi+724 pp.; index of languages + index of names ; ed. Geoffrey Roper, Printed & distributed by E.J. Brill, Leiden, The Netherlands .

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي : المسح الدولي للمخطوطات الإسلامية

الجزء الأول (١٩٩٢) ١٧ + ٥٦٩ صفحة ؛ الجزء الثاني (١٩٩٣) ٥ + ٧٢٤ صفحة ، مع فهرس اللغات وفهرس الأعلام ... ، في جزأين ؛ إعداد وتحرير جفري روبر ، طباعة وتوزيع مؤسسة برل للطباعة والنشر ؛ ليدن - هولندا .

إن حب التراث بصوره المتنوعة لم يكن في يوم ما حكرًا على فئة من الناس دون أخرى أو جنس دون آخر بيد أن أفراداً من هؤلاء الناس انفردوا دون غيرهم بعواطف دافقة نحوه تشدهم إليه شداً ، وتحفزهم إلى الحرص عليه وبذل المجهود في صيانته ورعايته حتى لو كان ذلك على حساب بلهنية عيشهم ورفاه حياتهم . وهذا ما يجده القارئ واضحًا في كتاب «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل» النفيس لعبدالفتاح أبي غدة - أطال الله في عمره ونفعنا بعلمه الجم - (حلب ١٣٩٤هـ / ١٩٧١م) وبخاصة في فصل : «أخبارهم في فقد الكتب أو بيعها أو نحو ذلك عند الملمات (ص ٩٤ - ١١٠) . ومثل هذا ما ذكره وأفاض في شجونه - من واقع تجاربه الطويلة مع المخطوط الإسلامي - يحيى بن محمود ساعاتي في كتابه المتقن الصغير الحجم العظيم الجرم : «الفقد القسري للمعلومات عن الكتاب العربي» الذي نشرته مكتبة دار العلوم في الرياض سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م إذ حلل فيه الظواهر المتنوعة لهذا الفقد القسري للمخطوط الإسلامي وتأثيراته على استقراء الفكر الإسلامي بشكل دقيق كامل شامل نتيجة فقد عناصره أو مجهوليتها .

إن مثل هذا الحرص الشديد على التراث وصيانته وحب الحفاظ عليه لم ينفرد به العلماء فحسب ؛ بل كان منهم الطبيب والمنجم وبائع "الخرداوات" والعطار والحجام والباشا والوزير والخليفة والسلطان ، ومن هنا لم نعجب حين انبرى وزير البترول السعودي السابق أحمد زكي يماني لإنشاء مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فيكون هذان الجزآن في وصف الفهارس من بواكير أعمالها الكبيرة التي نرجو لها أن تتم في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى ؛ وبعد :

إن الكتاب بجزأيه لا يعدو أن يكون سرداً منظمًا لوصف فهارس المخطوطات الإسلامية (المكتوبة بالحروف العربية) المنشورة وغير المنشورة في الأقطار المختلفة من العالم ، قامت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن [برئاسة الشيخ أحمد زكي يماني] باختيار جماعة من العارفين عندها بالمخطوطات الإسلامية فعهدت إليهم القيام بهذا العمل الجماعي الشاق الذي ظهر حتى الآن في جزأين كبيرين . وقد وعد الناشرون أن يحتوي الجزء الثالث على وصف بقية فهارس المخطوطات في الأقطار التي لم توصف في هذين الجزأين .

احتوى الجزء الأول على وصف الفهارس في كل من أفغانستان وألبانيا وأرمينيا والنمسا وأذربيجان والبحرين

وبنجلادش وروسيا البيضاء وبلجيكا وبنين والبوسنة والبرازيل وبروني وبلغاريا والكاميرون وكندا وكرواتيا وقبرص وجيكوسلوفاكيا والدانمارك ومصر وأستونيا وفلندا وفرنسا وجورجيا وألمانيا وغانا واليونان والمجر (هنغاريا) والهند وأندونيسيا وإيران (٣٢) .

واحتوى الجزء الثاني على وصف الفهارس في كل من العراق وإيرلنده وإيطاليا وساحل العاج واليابان والأردن وكازاخستان وكينيا والكويت وقرغيزستان ولاتفيا ولبنان وليتوانيا ومقدونيا ومدغشقر وملاوي وماليزيا ومالي ومالطة والمغرب وهولندا ونيوزيلند والنيجر ونيجيريا والنرويج وعمان وباكستان وفلسطين وبولندا والبرتغال وقطر ورومانيا والاتحاد الروسي . وفي ملاحظة قصيرة قال الناشرون : إن وصف فهارس ليبيا وموريتانيا والفلبين سيكون في الجزء الثالث (٣٣) .

لقد بين الشيخ أحمد زكي يماني في مقدمة الجزء الأول أهداف المؤسسة فقال : «لقد أنشئت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لتحقيق هدفين : المساهمة في حفظ التراث الإسلامية الحضاري ومحاولة تيسير الوصول إليه وجعله أكثر يسراً لكل من العلماء والمهتمين من الجمهور عموماً . ولأجل تحقيق شمولية هذه الأهداف فقد ارتؤي أن تحقيق ذلك مشترط بتحقيق عدد من الواجبات المعينة التي من بينها الأفضلية التي أعطيت لأمرين : ١) فهرسة ما لم يفهرس من مجموعات المخطوطات الإسلامية و ٢) تصنيف (تكوين) سِجِلٌ مَرئيٌ (visual record) شامل قدر المستطاع وذلك باستعمال أكفأ وسائل التقنية المتوفرة» .

ويستمر الشيخ أحمد زكي يماني في مقدمته قائلاً : «... ولا يمكن أن يُشرَع بهذه الواجبات قبل أن تكون هناك أجوبة لأسئلة معينة : أين تقع أفضلياتنا ؟ أي المخطوطات يجب أن يُنسَخ (يُصَوَّر) أولاً ؟ والواضح أن مخطوطة مهمة لا توجد إلا في نسخة فريدة وفي ظروف غير أمينة تكون مرشحاً مثالياً للنسخ (للتصوير) ... ولهذا فإن المؤسسة قد أصبحت مرتبطة بما رأينا أنه الخطوة الأولى في مشروعنا الشامل : القيام بإجراء مسح دولي شامل لمجموعات المخطوطات الإسلامية ؛ هذا المسح الذي نأمل أن يشمل المجموعات الخاصة إضافة إلى العامة ؛ المجموعات غير المعروفة وغير المفهرسة وتلك التي ذكرت في أي مسح سابق في هذا المجال .

وفي تقرير حجم مسحنا ؛ فإن هدفنا كان لتجميع ما يستطاع جمعه من المعلومات لمساعدتنا في رسم قائمة الأفضليات للمراحل المستقبلية للمشروع : الفهرسة والنسخ (التصوير)» .

أما المحرر العام جفري روبر فقد أكَّد في مقدمته على أن عملية المسح هذه إنما هي عمل جماعي «فهي تضم سوية جهود علماء المخطوطات ؛ مسلمين وغير مسلمين من شتى أقطار العالم بتعاون مثمر لرفع مستوى معرفة التراث المكتوب للحضارة الإسلامية التي هي أيضاً جزء حيوي من تراث الإنسانية الفكري ... ونأمل أن عملنا في تنظيم هذه المجهودات على أساس موحد سوف يزيد في فائدة هذه الأجزاء بصفتها مراجع في السنين القادمة إضافة إلى مساعدة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لتمييز أفضلياتها للحفاظ على وترويج المخطوطات والنصوص التي تحتوي عليها» .

ويردد جفري روبر ما قاله الشيخ يماني في مقدمته فيقول : «إن إعداد أساسٍ ببليوغرافي سليم كان شرطاً ضرورياً مسبقًا لهذا العمل ، فإننا نكون قادرين فقط على تمييز ما هو غير معروف أو مهمل إذا تعيَّن ما هو معروف» ... ثم يستمر المحرر العام في تعداد الأعمال الببليوجرافية السابقة على عمل مؤسسة الفرقان مبينًا ما فيها من نقص وقصور في التناول ، ثم يخلص إلى أن عمل بيرسون J.D. Pearson, Oriental manuscripts in Europe and North America : A survey. هو المحاولة الوحيدة من الأعمال السابقة التي غطَّت المخطوطات لكل لغات العالم الإسلامي إضافة إلى تقديمها معلومات حول المجموعات غير المفهرسة أو المُحَازات غير المنشورة ، ومع هذا فإنها تعاني من نقص واسع ؛ لأنها محدودة في إدراج المجموعات الموجودة في أوربا وشمال أمريكا والجمهوريات الآسيوية في الاتحاد السوفيتي سابقًا ومستثنية بذلك تركيا، فهي بذلك قد استبعدت الكم الهائل من المخطوطات المحفوظة المهمة إضافة إلى استبعادها المجموعات الأخرى الموجودة في آسيا وأفريقيا.

ويرى المحرر العام بعد ذلك أن مسح مؤسسة الفرقان سوف يملأ الفراغات الموجودة في هذه الببليوجرافيات وفي أعمال المسح السابقة ؛ وفي الوقت ذاته يتم تجميعها سوية وتحديث غالبية المعلومات الموجودة

فيها . ثم يعرّج على توضيح مصطلح «المخطوطات الإسلامية» فيقول : «إن مصطلح المخطوطات الإسلامية ربما يحتاج إلى بعض التحديد . إن المصطلح في قصدنا يعني المكتوب بالخط العربي في أية لغة استعملت هذا الخط دون اعتبار مادة الموضوع أو محتوى النص ... إلا أن مجاميع دور الوثائق (الأرشيفات) والوثائق والرسائل والسجلات ... وما إلى ذلك ، قد استبعدت عموماً» .

أقول : الواقع أن استبعاد مجاميع الوثائق من هذا المسح ليس صحيحًا ؛ لأنه يحتوي على مثل هذه المجاميع (١٤/١ ؛ الأرشيف الحكومي في تيرانا ، ١٦٩ ؛ أرشيف دير كيكوس بقبرص ، ١٧١ ؛ وثائق دير كيكوس في ترودوس بقبرص أيضًا ، ٢٠٤ ؛ مصورات وثائق دير طور سينا التي قدمتها بعثة الكونجرس الأمريكي هدية في سنة ١٩٦٠ لمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ولم يسمح برؤيتها إلا للأصحاب ؛ وثائق مكتبة Fenno-Ugrian في هلنسكي ٢٤٣/١ ؛ ٢٤٤/١ – ٢٤٥ وثائق تركية ؛ وبرلين ٣٢٨/١ وثائق عثمانية ؛ وهيراكليون – اليونان ٣٨١/١ وثائق وسجلات عثمانية ذكرها روبر نفسه مع بدوي ؛ وروما ١٠١/٢ وثائق قاجارية ؛ فنيسيا ١١٣/٢ وثائق عثمانية ؛ المانيا ١٥٠/٢ وثائق فارسية وتركية مثلاً) .

وبعد : هل يستطيع القارئ لهاتين المقدمتين أن يفهم منهما أن مؤسسة الفرقان ، حين عهدت إلى هؤلاء العارفين من الخبراء بوصف فهارس المخطوطات الإسلامية المعروفة والإرشاد إلى المجموعات المجهولة من هذه المخطوطات في بلدانهم المختلفة ، إنها ستقوم باختيار ما تراه جديراً بالاختيار وتقوم بفهرسة هذه المختارات ، ومن ثم القيام بتصويرها بأحدث وسائل التقنية المتوافرة ، سواء على الميكروفلم أو الميكروفيش أو الورق أو على الأسطوانات الليزرية أو بأية وسيلة أخرى لتكوين سجل مرئي ، ليستطيع الباحثون والمهتمون الوصول إليها بيسر وسهولة.

إن الخطوة العملية في هذا المشروع : أن تبدأ مؤسسة الفرقان حيث انتهى الآخرون ، وإلا كان العمل مكرراً ، مكلفًا ؛ فتقوم أولاً : باستبعاد ما هو مصور وموجود في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة الذي يمتلك أكثر من ٢٠ ألف صورة للمخطوطات (المورد ، ع١ مج٥ : ١٩٧٦ ؛ ١١٢) ومثيله في الكويت وفي مركز الملك فيصل بالرياض وفي كل أقسام المخطوطات الموجودة في مكتبات الجامعات العربية والإسلامية والمكتبات الوطنية والمجامع العلمية التي تحتفظ كلها بآلاف المصورات المكررة في غيرها ومن ثم تقوم باختيار ما لم يصور من المخطوطات المهمة في نصوصها أو جلودها أو منمنماتها أو أي جانب تراثي آخر فيها ، وعلى أن يقوم بهذا الاختيار من له دربة وتجربة وعلم واسع في هذه المجالات والفنون ، وإلا كان عملاً إدارياً لا علم فيه يقتنى ولا فائدة ترجى .

أو إنها تقوم بإعادة تصوير ما كان مصوراً من النسخ المصورة الموجودة على أسطوانات ليزرية أو على أي وسيط آخر ، ولعل أسلمها الرقيق (الميكروفلم) ومن ثم تضيف إليها ما لم يكن قد صُوِّر فعلاً من المجموعات التي أشار إليها العارفون في وصفهم بعد الاختيار والفهرسة ، ومع هذا فإن هناك أمراً يجب أن يتأكد منه القائمون على مؤسسة الفرقان (إذا وقع اختيارهم على الأسطوانات الليزرية) وهو أن التجارب التي أجريت على الأسطوانات الليزرية تؤكد على أن هذه الأسطوانات لا تتحمل المعلومات التي تحملها أطول مدة من عشر سنوات على الأغلب وتختفي بعد ذلك ، وعندها يجب إعادة نسخ المعلومات على أسطوانات جديدة مرة أخرى ، ومثل هذا العمل يكلِّف أموالاً طائلة إضافية . فإن الآمال ينبغي أن لا تكون فوق طاقة القدرة والاقتدار .

الحق ! لقد أشفقتُ على الشيخ الفاضل إشفاقًا جماً وأعجبت بأهدافه الرائعة أيما إعجاب ، لأن ما يريد الشيخ اليماني ومؤسسة الفرقان تحقيقه قد عجزت عن تحقيقه قبله جامعة الدول العربية بكل إمكاناتها المبعثرة وكل منظماتها التربوية وغير التربوية ؛ بل وعجزت عنه كل الجامعات العربية والإسلامية ومراكز بحوثها ومجامعها العلمية في الدول العربية وغيرها ، ولم يزل مثل هذا المشروع الذي لا يقوم به إلا هواة المخطوطات هو حلم البُحّاث من العلماء والمحققين الذين يعانون الصعاب الجمة في الوصول إلى مخطوطة تهمهم في بحثهم أو تحقيقهم . فكم من اجتماعات عُقدتْ ومؤتمرات نُظِّمتْ ؛ وكم من توصيات رفعت وكم من شكاوى سمعت سراً وعلنًا ؛ بل وكم من سفارة تدخلت في تصوير مخطوطة لطالب علم أو باحث أو لجامعة عربية أو إسلامية أعيتها الحيل في الحصول على مصورة لمخطوطة محفوظة هنا أو هناك في

كثير من هذه الأقطار التي يظهرها الواصفون في هذا المسح بشكل مغاير تماماً لما يعرفه المشتغلون بالمخطوطات؟ ثم كيف تستطيع مؤسسة الفرقان تذليل الصعوبات الهائلة والعراقيل الكأداء التي يضعها خزّان المكتبات أمام طلبات التصوير ؟ فإن تجاربي المريرة خلال الثلاثين سنة الماضية في التحقيق والفهرسة وتدريس علم الاكتناه (الباليوغرافي) في أوربا أو بلدان الشرق الأوسط ، مع هؤلاء يشيب لها الولدان ، سواء كان هؤلاء الخزان في هولندا أو تركيا أو مصر أو في بلاد الواق واق . فإن هؤلاء يتصرفون وكأنّ هذه المخطوطات ملك آبائهم وأجدادهم فيجودون بها على من شاءوا ويمنعونها عن من شاءوا ، ويختلقون الأعذار وهم خبراء فيها على منع الوصول إليها. وقبل عشرين سنة بالتمام والكمال شكا مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فقال : «وهناك جهات ترفض أصلاً التصوير ، ولا تسمح بالاطلاع إلا في حدود ضيقة جداً كالأكاديمية الملكية للتاريخ في مدريد التي أعيتنا الحيل معها» (مجلة المعهد مج١٩ ، ج٢٠٧/١) . ولو بدأتُ في سرد تجاربي المثبطة لكل عزم هنا لكان لي معهم شأن ولخرجت عن الطريق اللاحب في التعريف بهذا الكتاب .

وقبل أكثر من عشر سنين كتب يوسف عزالدين – الأستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة – في تقديم كتابي : «مقدمة في الوثائق الإسلامية» فقال : «ولابد من إيجاد مؤسسات مستقلة تعنى بالتراث وتنتهج الأسلوب العلمي ، ويوظف لها أصحاب الدربة والكفاية الفكرية والخبرة في التحقيق وفهم التراث ومعرفة قيمته العلمية وعدد النسخ الموجودة ومكانها وتصوير نسخها ووصفها وذكر محتوياتها لتسهّل عمل الباحث وتيسّر له جهداً كبيراً ... وبدأت بعض المجامع والجامعات في الوطن العربي تأخذ بجانب من هذه الوسائل العملية . فما تزال المؤسسات تشحُّ بالتصوير وتضع العراقيل أمام الباحثين في الحصول على المصورات أو حتى رؤية المخطوطات إذا ما تجشم الباحث الهاوي عناء السفر ومشقة الترحال» .

ولا أرى بأسًا بعد هذا أن أسجل للتاريخ نتفًا مختصرة من بعض هذه الصعوبات التي عانيتها لعل فيها عبرة لمعتبر وعظة لمن يتعظ . فقد حاولت المكتبة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض منذ سنة ١٩٨١ الحصول على بعض مصورات المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة ليدن عبر القنوات الدبلوماسية أولاً ومن ثم عبر مجلس جامعة ليدن ورئيسها آنذاك ثانيًا ، وبالرغم من توقيع عقد رسمي مع مدير المكتبة في سنة ١٩٨٦م فإن جامعة الإمام لم تتسلم حتى يومنا هذا إلا أقل من النصف من القائمة التي تم الاتفاق عليها بموجب العقد المبرم رسمياً .

وفي سنة ١٩٧٩م اشترت مكتبة جامعة ليدن الجزء الأول من مخطوطة «كتاب المُقَفَّى» للمقريزي بخطه من دار مزاد علني بلندن واستطعت أن أرى المخطوطة مرة واحدة فقط وبعدها لم يسمح المسئول عن قسم المخطوطات لأحد برؤيتها حتى يومنا هذا ، بحجة حاجتها إلى الترميم ، ولم تنفع الاحتجاجات والاعتراضات مع أن هذا المسئول نفسه نشر أكثر من تعريف بها إضافة إلى محاضرة عامة عن خطوط المقريزي بالرباط سنة ١٩٩٢ مع صور منها ، ومع هذا فإن المخطوطة لم تزل محجور عليها لغيره ومتاحة له . وقد يشك أحدنا في أنها مسروقة من إحدى المكتبات المشرقية ولا يود أن أحداً يطلع عليها خوف اكتشاف السرقة فيضطر بموجب الاتفاقات الدولية أن يعيدها إلى مصدرها الأول كما حدث أكثر من مرة ، وإلا ما هو السبب في منعها واحتكارها لنفسه ، وقد اشترتها المكتبة لتكون في متناول القراء ؟

أما في مصر فالأمر لا يقل سوءًا وتعقيداً ، فقد حاولت منذ أكثر من سنتين أيضًا الحصول على صورة من مخطوطة «كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين» لأحمد ابن قاسم الحجري الإشبيلي الأندلسي المحفوظة في دار الكتب المصرية بخطه فلم أفلح ، ولم تفلح أيضًا مساعي الأخوة الزملاء محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو ويحيى ساعاتي وعطا كفافي – رحمه الله – ومحمد الربيع وأيمن فؤاد سيد ، بحجة أن المخطوطة قد نقلت إلى قلعة محمد علي منذ حرب رمضان ولم تعد إلى دار الكتب بعد . ولولا المستشرقة الإيطالية سرنللي .Sarnelli Cerqua, cl التي نشرت بعض المقالات عن الكتاب والمؤلف لما حصلنا على صورة من الصورة التي تحتفظ بها والتي صورت في سنة ١٩٦٥ عن ميكروفلم سيئ التصوير مخربش الأسارير.

ويصح مثل هذا على تركيا وروسيا قبل انحلالها وبعده وإسبانيا وعلى الكثير من الأقطار الأخرى التي تحتفظ بمجموعات من المخطوطات الإسلامية ، والحديث

طويل ذو شجون يعرفه كل من عانى العمل في أي حقل يتصل بالمخطوطات الإسلامية بعامة والعربية بخاصة ؛ تحقيقًا أو دراسة .

العمل في المخطوطات ليس عملاً إدارياً آلياً فحسب بل هو هواية نابعة من حب دافق وتعلق بها عميق ودربة وتجربة طويلة المدى قبل أن يكون مهنة تَدُرُّ على ممتهنها (بمعنى : المهنة والامتهان) لبنًا وعسلاً ومن هنا كانت غالبية «العارفين» الذين وصفوا كل هذه الفهارس مهنيين وليسوا مخطوطيين فإذا خرجوا عن العمل الورقي المهني وقعوا في أخطاء فاحشة يبين فيها عوارهم فهذا أحدهم يقول : إن نسخة «كتاب كليلة ودمنة نسخت في زمن أبي جعفر المنصور» (٣٢٠/٢) فلعله أراد «عُرِّبَت» في زمن أبي جعفر المنصور الذي حكم ما بين سنة ١٣٦ – ١٥٨هـ وهو الذي أمر بقتل ابن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة سنة ١٤٢هـ ؛ ولو كان الأمر كما ذكر لوصل إلينا واحد من أقدم النصوص خلا نصوص القرآن الكريم وهذا شيء رائع مبهج للقلب وهذا خبر إن كان له أثر .

الحق إنني لم أستعرض المجاميع الخطية المحفوظة في بعض الدول مثل أفغانستان وألبانيا وأرمينيا وأذربيجان وبنين والكاميرون والبرازيل وغيرها ؛ لأن المعلومات الواردة عنها لم تكتمل بعد . أما الدول الأخرى مثل بلجيكا وبلغاريا وكندا والدانمارك وألمانيا وغيرها فإن مجاميعها معروفة من الفهارس المنشورة ؛ ومن ثم فإن التجربة في تصحيح الخطأ في فهارسها مرت بقرون قبل أن تستقر . ولو استعرضنا فهارسها الأولى لأخذ العجب بنا كل مأخذ مما فيها من الأخطاء الفاضحة . وبالرغم من أن التجربة المشرقية في الفهرسة المنظمة لم تمر بقرون فإنها في طريقها إلى الاكتمال مع أنها لم تبدأ إلا منذ عشرات السنين فقط .

المخطوطات في مصر

قام بوصف المجموعات المصرية هيئة من دار الكتب المصرية بإشراف سمير سرحان ، وكان المتوقع من الهيئة الكريمة أن تكون أكثر حرصًا ودقة على توثيق المعلومات التي وردت في الفهارس التي صنعها مفهرسون لم يكونوا بذوي دربة وتمرس وإليك البرهان :

أن أحدهم يقول إن «إعراب وشرح مغني اللبيب لمحمد الأمير الأزهري ، تاريخ النسخ سنة ٧٦١هـ» (٢٠٤/١) ؛ والواقع أن محمد بن محمد بن أحمد النباوي المالكي الشهير بالأمير قد توفي سنة ١٢٣٢هـ فمن غير المعقول أن يكون كتابه قد نسخ في سنة ٧٦١هـ التي هي سنة وفاة ابن هشام مؤلف «كتاب مغني اللبيب» فأنى يكون ذلك ؟

وفي الصفحة نفسها يعدد العارف المخطوطات المهمة في المكتبة فيقول : «الخلافيات لأبي حفص عمر نجم الدين، تاريخ النسخ ٤٠٥هـ» . فإن المعروف أن نجم الدين أبا حفص عمر بن محمد النسفي ولد سنة ٤٦٠ للهجرة وتوفي سنة ٥٣٧هـ فكيف ينسخ كتابه «المنظومة النسفية في الخلافيات» قبل ولادته بخمس وخمسين سنة ؟ (بروكلمان ٢٢٨/١ وقد أشار إلى هذه النسخة وذكر رقمها: فقه حنفي ٦٧) . ولكن هؤلاء العارفين حين عددوا المخطوطات المهمة في المكتبة الأزهرية لم يذكروا النسخة الرائعة غير الكاملة من «تاريخ دمشق» لابن عساكر بخط ابنه القاسم ، والذي يوجد منه قطعة في مكتبة جامعة ليدن كان أحد المستشرقين قد اشتراها في القاهرة من عبدالحميد الشيمي – رحمه الله – وباعها للمكتبة .

في وصف محتويات جامعة القاهرة ، ذكر الخبير أن من جملة المخطوطات النادرة فيها : «كتاب المرشدة في علم الحساب لابن الهيثم ، تاريخ النسخ ٧٨٣هـ» (٢١٠/١) . والصواب أن عنوان الكتاب هو : المرشدة في صناعة الغبار ، ويسمى أيضًا : مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب وهو ليس لابن الهيثم الحسن بن الحسن البصري المتوفى سنة ٤٣٠هـ وإنما لابن الهائم أحمد بن محمد الفرضي المعري المقدسي المتوفى سنة ٨١٥هـ ومنه نسخ كثيرة (بروكلمان ١٢٥/٢ ؛ وملحقه ١٥٤/٢) . أما كتاب المرشد في الحساب فهو لعبدالوهاب بن عبدالله الشنشوري ومنه مختصر للمؤلف في برلين برقم : ٥٩٩٦ .

وفي الصفحة نفسها ينسب الخبير أو الخبراء «كتاب سياسة البدن وفضيلة (وفضائل) الشراب» للكازروني لعلهم يقصدون : سديد الدين أو السديد – كما يسمى – الكازروني الذي شرح كتاب المغني لابن سينا في سنة (٧٤٥) . والصواب أن الكتاب لابن سينا (بروكلمان ملحق ٨٢٨/١) ، فلعله بخط الكازروني فاختلط الأمر ومثل هذا كثير على غير الخبير .

والغريب أن خبراء دار الكتب المصرية قد ذكروا في تقريرهم المنشور في مجلة المورد (مج٥ ع١ لسنة ١٩٧٦،

صفحة ٨٠) أن «مكتبة مسجد الشيخ إبراهيم بالإسكندرية تحتوي على ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف كتاب ؛ مطبوع ومخطوط أكثرها مخطوط بنسبة ٧٠٪) إلا أنهم لم يذكروا هذه المعلومات المهمة في مسح مؤسسة الفرقان (٢٠٧/١) وإنما أشاروا إلى ملاحظة فؤاد سزكين العائمة المضطربة «إن بعض مخطوطات مسجد الشيخ إبراهيم قد صورها معهد المخطوطات» .

"Einige Hss, der Moschee ash-shaikh Ibrâhîm Bâshâ wurden vom Ma'had al-Makhtûtât gefilmt", GAS, vi : 323.

ومثل هذه الملاحظة وردة أكثر إتقانًا وضبطًا في تقرير معهد المخطوطات العربية المنشور في مجلة المورد أيضًا (مج٥ ع١ ، ١٠٩) ، إذ جاء فيه : «وفي عام ١٩٤٨ أرسل المعهد بعثة إلى الإسكندرية انتقت وصورت مخطوطات من مكتبة بلدية الإسكندرية ومكتبة جامع الشيخ» . فلماذا اللجوء إلى كتاب سزكين هنا وهو الذي أخذ معلوماته من منشورات المعهد ؟

ونسب هؤلاء الخبراء «كتاب تاج المصادر في اللغة» نسخة المكتبة الأزهرية ، للمقرئ (٢٠٩/١) . والصواب أن الكتاب لأحمد بن علي بن محمد البيهقي المعروف ببوجعفرك المتوفى سنة ٥٤٤هـ وقد ذكره السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٦م ، ١ : ٣٤٦) وذكر تاج المصادر ضمن مؤلفاته وكذلك فعل ياقوت في معجم الأدباء ٤٩/٤ - ٥١ . وقيل فيه : «قرأ الصحاح على الميداني وحفظه عن ظهر قلب» . وانظر : (بروكلمان ٢٩٣/١ وملحقه ٥١٣/١) . وقد جاء ذكر نسخة منه في مكتبة بيت الحكمة في النجف (٤٠/٢) .

وفي وصف نفائس مكتبة دمنهور العامة قال الخبراء إن «كتاب المصباح في النحو لأبي الفتح ناصر الدين بن عبدالشهيد بن علي المصري» . والصواب أن الكتاب لأبي الفتح ناصر بن عبدالسيِّد المطرزي المتوفى سنة ٦١٠هـ فأين هذا من ذاك . (انظر بغية الوعاة للسيوطي ٣١١/٢ وبروكلمان ٢٩٣/١ وملحقه ٥١٤/١) .

وذكر الخبراء بعض المخطوطات المهمة في مكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج (٢٢٨/١) وقالوا : إن كتاب نوادر النظائر لابن الملقن وهو منسوخ سنة ٦٣٠هـ . والمعروف أن ابن الملقن له بالفعل كتاب الأشباه والنظائر فإذا كان المؤلف أبا حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الوادي آشي الأندلسي التكروري الشافعي ؛ فإنه ولد في سنة ٧٢٣هـ وتوفي في سنة ٨٠٤هـ ولهذا لا يمكن أن يكون تاريخ النسخ صحيحًا قط . (السيوطي : حسن المحاضرة ٤٣٨/١ وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٤٢).

وفي الصفحة ذاتها قال الخبراء في كتاب شرح فصيح ثعلب إنه «لابن منصور علي الجبَّان ، مؤرخ سنة ٣٩٨هـ» . والصواب أنه لأبي منصور محمد بن علي بن عمر الجبَّان المتوفى بعد سنة ٤١٦هـ . ذكره ياقوت ونقل عنه السيوطي قوله : «أحد حسنات الري وعلمائها الأعيان» وذكر شرحه هذا (بغية الوعاة ١٨٥/١) .

ومن مخطوطات مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا المهمة (٢٣١/١) ذكر الخبراء كتاب الوفا بشرح الاصطفا من أسماء المصطفى لعبدالباسط بن محمد بن رسلان بخطه ، والنسخة مؤرخة في سنة ٧٠٢هـ . فإذا كانت المعلومات عن هذا المؤلف عند السخاوي مضبوطة الأركان؛ فإن تاريخ النسخ خطأ محض لأن السخاوي في كتاب الضوء اللامع يقول إن عبدالباسط بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن رسلان بن نصر بن صالح بن عبدالخالق البلقيني الشافعي ولد سنة ٨٧٠هـ وكتب شرحه هذا في سنة ٨٩٩هـ شارحًا قصيدته الاصطفا من أسماء المصطفى (٢٨/٤ - ٢٩) ؛ ويضيف بروكلمان أن من الشرح نسخة بخطه في المكتب الهندي بلندن برقم : ٤٦٣٠، فأين هذا من ذاك ؟ (بروكلمان ملحق ١٢٨٥/٣) .

وذكر خبراء دار الكتب المصرية بعض المخطوطات المهمة في دار الكتب بالزقازيق فقالوا : «مختارات الفتوى لمؤلف غير معروف بخط الأمير بن جاقر القوشحصاري» (٢٣٣/١) . والكتاب ليس مجهولاً ، فهو لأبي الفضل محي الدين عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي البلدجي أو البلداجي المتوفى سنة ٦٨٣هـ ، ومنه نسخ كثيرة (بروكلمان ٣٨٢/١ وملحقه ٦٥٧/١) .

ومثل ذلك في كتاب شرح مجمع البحرين (الأصل لابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٦هـ) حين نسبوه لابن مالك، وهو لعبداللطيف بن عبدالعزيز بن ملك شاه المعروف بفرشته (بروكلمان ملحق ٦٥٨/١) .

ومما أغفل الخبراء في دار الكتب المصرية ذكره مقالة

عبدالسلام محمد النجار حول مخطوطات مكتبة روضة خيري باشا التي كانت تحتوي على أكثر من ستة عشر ألف مجلد ما بين مخطوط ومطبوع والمنشورة في مجلة معهد المخطوطات (مج٧ ج١ - ٢ ، ١٩٦٠ ، ٥٩ - ٧٧ ؛ وفي مج٧ ج٢ ، ٧ - ١٤ ، مج٩ ع٢، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م، ٢٣١ - ٢٤٢) وقد آل معظم مخطوطاتها إلى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . وهي مسجلة في سجل المكتبة ، وتحمل الأرقام ٨٣٤ - ١٦٩٤ . وقد فهرست عدداً كبيراً منها في الجزء الأول من كتابي الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة النبوية والتاريخ والتراجم والأثبات الذي تقوم الآن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنشره ، وفي الجزء الثاني الذي أعده الآن .

وأغفلوا أيضًا فهرس كتب مكتبة إلهامي باشا الذي احتوى على ١٧٠٧ من الكتب المطبوعة والمخطوطة وهو منشور في القاهرة سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م . (انظر : إشكالية الفقد القسري للمعلومات عن الكتاب العربي ، ليحيى ساعاتي ١٧ - ١٩ ، ٦٦) .

أما المجموعات غير المفهرسة والموجودة في حوزة كثير من الأديرة التي زرتها وعند الأفراد في القاهرة وغيرها ورأيتها شخصياً فلم تحظ منهم بذكر ؛ لأنهم موظفون تحت إشراف موظف، والويل للمخطوطات من أمثال هؤلاء الإداريين.

المخطوطات في الهند

وآخر يصف مخطوطة كتاب الحكمة في الطب ، وهو كتاب الرحمة في الطب والحكمة [لمحمد بن علي بن إبراهيم الصنبري اليمني المتوفى سنة ٨١٥هـ وليس للجلال السيوطي] بأن عمرها «حوالي ١٠٠ - ٢٠٠ سنة» (٦٠/١) "about 100 - 200 years old" (٦٥/١) وقد كرر العارف نفسه مثل هذا الحكم في وصف مجموعة بقوله "they are one or two centuries old" ، فإن مثل هذا لا يقول به عارف بالمخطوطات ، أو قوله : «ممتاز الأحكام لابن تيمية» (٦٤/١) ، والصواب هو كتاب المنتقى في الأحكام الشرعية من كلام خير البرية لمجد الدين عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية المتوفى سنة ٦٥٢هـ وليس ممتاز الأحكام

وآخر من هؤلاء العارفين يصف فهارس إحدى المكتبات فيقول إن المعلومات تحتوي على سنة التأليف "year of composition" ويكرر مثل هذا "date of composition" أو "year of compilation" (٣٢/١ ، ٣٣ ، ٣٥) والسؤال : كم من المخطوطات الإسلامية يحتوي على سنة التأليف ؟ إن العارفين بالمخطوطات يعرفون أن ذلك نادر جداً في المخطوطات . فلعله يقصد : «تاريخ النسخ» ! ! .

وآخر يقول إن كتاب مختلف الرواية (بكسر التاء من مختلف وليس بفتحها) هو «لمحمد الصنهاجي ، سنة ٦٥٤هـ ، ويعتقد أن النسخة بخطه» (١٠٥/١) والظاهر أن الناسخ هو محمد الصنهاجي وأن تاريخ النسخ هو ٦٥٤هـ؛ لأن الكتاب معروف لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ أو ٣٧٥ أو ٣٩٣هـ حسب الروايات المختلفة (بروكلمان ١٩٦/١ : ملحق ٣٤٧/١ وسزكين ٤٤٧/١) .

وفي الصفحة نفسها يقول الكاتب إن «فتاوى الخاصِّي للخوارزمي» . والصحيح أنها الفتاوى الخاصيِّة لحسام الدين عمر بن عبدالعزيز بن مازه المعروف بالصدر الشهيد البخاري المتوفى سنة ٥٣٦هـ (بروكلمان ٣٧٤/١ وملحقه ٦٤٠/١) .

وخبير آخر (٤٠١/١) ينسب كتاب فيصل التفرقة وكتاب القسطاس المستقيم وكتاب مشكاة الأنوار جميعًا للإمام الشاذلي ، ويذكر تاريخ نسخها ونسخ غيرها بالتاريخ الميلادي (1123 C.E.) ، [أي : ٥١٧هـ] وهذا غير معهود عند الخبراء ، وكلها مطبوعة منشورة مراراً ومعروفة مشهورة في الخافقين لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ . فإذا أراد بـ «الإمام الشاذلي» أبا الحسن علي بن عبدالله صاحب الطريقة الصوفية المشهور فإنه ولد سنة ٥٩١هـ وتوفي سنة ٦٥٦هـ ، وهذا لا يمكن أن يصح تاريخياً قط .

وهو نفسه يقول : إن كتاب خلاصة البدر المنير في الفقه الشافعي لعلي الأندلسي (d. 1401 C. E.) [أي: توفي سنة ٨٠٤هـ] والمعروف أن علي الأندلسي هو المعروف عند أصحاب التراجم بابن الملقن ولا يعرف بعلي الأندلسي إلا في سرد أصله ونسبه كما رأينا في أعلاه ، (بروكلمان ملحق ٧٥٣/١ ، ٩٧٣) .

وهو نفسه يقول أيضًا : إن «كتاب تحفة الغريب» [في الكلام على مغني اللبيب] لمحمد الدماميني المتوفى

سنة ٨٢٧هـ "في الأدب on literature" . والصواب أن الكتاب أحد شروح كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، وهو في النحو .

وهو أيضًا يقول (٤٢٦/١) : "إن كتاب عقائد الخواص لابن عربي فريد ، لم يذكره بروكلمان" ، وهذا صحيح لأن كثيراً من كتب ابن عربي تحمل أكثر من عنوان ويسمى المعرفة في المسائل الاعتقادية ، انظر :

Osman Yahia, Histoire et Classification de l'oeuvre d'Ibn 'Arabi, Damas 1964, 2 : 372 .

ويقول أيضًا (٤٣٥/١) : "إن كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، لعله نسخة فريدة ، لنجم الدين أبي القاسم محمد ..." وهو كما قال إلا أن نسخة الجمعية الآسيوية في كلكتا ليست فريدة فمنها نسخة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وأخرى في مكتبة الحرم المكي الشريف ، وقد نشرها مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، بتحقيق فهيم محمد شلتوت في سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ ، وكانت نسخة الجمعية الآسيوية إحدى النسخ التي اعتمد عليها دون أن يعرف مصدرها ، والكتاب لنجم الدين عمر بن فهد ويسمى أيضًا محمد بن فهد المكي الهاشمي .

أما كتاب عنوان الشرف الذي وصف الواصف محتوياته وصفًا جيدًا دون أن يعرف مؤلفه (٤٣٥/١) فهو كتاب عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي لإسماعيل بن أبي بكر بن المقرئ الشاوري اليمني المتوفى سنة ٨٣٧هـ (بروكلمان ١٩٠/٢ وملحقه ٢٥٤/٢) ومنه عشر نسخ مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط فقط ، وهو بعد مطبوع مشهور .

وبالرغم من هذه الهنات البسيطة فإن واصف فهارس الهند كان بارعًا في إيراد بعض اللمحات التاريخية المفيدة الممتعة للمعني بتاريخ المكتبات الإسلامية في الهند وأسماء الأعلام الذين أسهموا في حفظ المخطوطات ، وهو بعد كل ذلك لم ينس أثناء بحثه الماتع أن يذكر عرضًا علاقات الملوك والسلاطين ونسائهم بالتراث الإسلامي المخطوط ، وحرص هؤلاء على وضع خطوطهم على بعض المخطوطات مما يدل على رفعة ثقافة المجتمع الهندي الإسلامي إذ ذاك . ثم إنه عرّفنا على الآلاف المؤلفة من المخطوطات المفهرسة وغير المفهرسة في الهند عمومًا في مكتبات لم نعرفها من قبل .

المخطوطات في إيران

ولا تقل براعة واصف فهارس إيران هادي شريفي عن سابقه في إيراد الإشارات الممتعة إذ عرفنا منه أن المكتبة الرضوية في مشهد تحتوي على أحد عشر ألف نسخة من المصحف الشريف . وهذا كمٌ هائل له دلالته الثقافية والدينية معًا ، وكنا نود أنه أعلمنا باختصار عن وسائل جمعها وأسباب وجود هذا العدد الكبير من المصاحف في مكان واحد . ومع هذا فإنه نسب كتاب نهج البلاغة المشهور في العالمين لعزالدين الآملي (٤٧٠/١) دون أن يزيل الإبهام في هذه النسبة ؛ لأن هذا الكتاب إنما هو ترجمة بالفارسية لكتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام علي ابن أبي طالب مما جمعه الشريف المرتضى الموسوي سنة ٤٠٠هـ من خطب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فهو إذًا من تأليف الآملي .

وهو أيضًا لم يزل الإبهام والإيهام في إيراد نفائس المكتبة الرضوية حين قال : «وترجمة مختصر كتاب العين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله خطيب إسكافي ... كُتب سنة ٣٨٠هـ» ، فماذا نفهم من هذه الإشارة المقتضبة الموهمة لكل إشكال ؟ هل إن كتاب مختصر العين هو لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي أو إنه لمُختَصِر آخر لا يعرفه الخبير بينما قام الإسكافي بترجمته ؟ ولكن إلى أية لغة ؟ فقد ذكر سزكين كتاب غلط كتاب العين للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ وقال: «ولم يصل إلينا» (٥٥/٨) ، إلا أنه ذكر في الحاشية : «ويقال إن مختصر كتاب العين للإسكافي محفوظ في مشهد (رقم قديم ٣٨١، كتب سنة ٣٨٣هـ ، انظر : مجلة معهد المخطوطات ٣٢٩/١٩٦٠/٦). إلا أن النسخة فيما يظهر هي مخطوطة "مختصر" للزبيدي، مشهد ، رضا ٧٣٤٦ (نقلت من مخطوطة كتبت سنة ٣٨٤هـ)» ، وأشار إلى فهرس المكتبة ٩٩٥ . فمن أين جاء الخبير بكلمة A translation of Mukhtasar ...etc.

ومع هذا فإن الواصف قد أجاد كل الجودة في وصف فهارس إيران وأحسن في ذكر دقائق التفصيلات فيها ، إذ استوعب في وصفه المجموعات العامة والخاصة المفهرسة وغير المفهرسة استيعابًا يثير الإعجاب ويوقظ

الفضول عند المهتمين بالتراث الإسلامي ، فقد ظهر من وصفه الشامل أن كثيراً جداً من الإيرانيين ، العلماء والأطباء والتجار وغيرهم ، كانوا ولا يزالون يولون المكتبات الخاصة اهتمامًا كبيراً ومن هنا فإننا نجد في هذا الوصف المضني أعداداً كبيرة من المكتبات الخاصة إضافة إلى المكتبات الخاصة الموقوفة تحتفظ بأعداد كبيرة من المخطوطات المحبوسة والمُسَبَّلة للدارسين ؛ بل إن جل المجموعات الموجودة في مكتبات إيران الخاصة والعامة قد فهرس أو في طريقه إلى الفهرسة إلا القليل وهذا ما لا نجده في كثير من الأقطار الأخرى .

المخطوطات في العراق

وخبير آخر (١٠/٢) يقول إن : «كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان هو للكاتب البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣هـ» . والكتاب لأبي علي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب الذي أسلم فكتب رسالة في الرد على النصارى ، ولا يعرف باسم الكاتب البغدادي (انظر : M. Steinschneider, Polemische ... etc,. p57 ووفيات الأعيان ٢٥٧/٧) .

والخبير أسامة ناصر النقشبندي (١١/٢) يرى أن «نسخة كتاب كنز الملوك في كيفية السلوك لسبط ابن الجوزي (ت ٥٩٤هـ) المحفوظة في جامعة بغداد ، نسخة فريدة من القرن التاسع للهجرة» . وأقول : إن هذا الخبير أخطأ هنا مرتين : **الأولى** : في سنة وفاة سبط ابن الجوزي والثانية : في قوله «نسخة فريدة "unique copy"» فقد ذكر سنة وفاة السبط في سنة ٥٩٤ والصواب سنة ٦٥٤هـ أولاً ، ومن ثم فإن النسخة البغدادية ليست فريدة ثانيًا ، لأن منها نسخة في باريس وأخرى في أيا صوفيا .

والخبير نفسه يقول في الصحفة نفسها : إن نسخة «كتاب الملاحة في علم الفلاحة لعبدالغني النابلسي» المحفوظة في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد «نسخة فريدة بخط المؤلف» . وأقول : قد تكون النسخة بخط المؤلف وهذا فيه نظر ، وأما أن تكون النسخة فريدة فلا ، وذلك أن هذا الكتاب إنما هو تلخيص كتاب جامع فوائد الملاحة في علم الفلاحة لرضي الدين محمد الغزي العامري المتوفى سنة ٩٣٥هـ وتوجد منه نسخة في مجموعة حسن حسني عبدالوهاب بتونس ، وأخرى في المتحف البريطاني منسوبة لشهاب الدين أحمد الحموي (بروكلمان ملحق ٣٩٣/٢) . أما تلخيص النابلسي فمنه نسخة في توبنكن وأخرى في برلين وثالثة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم : ٣٨٤٦ ناهيك عن فهارس الظاهرية ودار الكتب المصرية وغيرها . ومع هذا فإن الكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٢٩٩هـ /١٨٨٢ وفي القاهرة سنة ١٩٧٩ ، فهي لذلك ليست فريدة .

وفي ذكر المخطوطات النفيسة في المكتبة العباسية يقول الخبير إن : «كتاب الهواتف في سلوك العوارف لابن أبي الدنيا ، نسخة فريدة ونفيسة ، كتبت في سنة ٨٨٥هـ» (٢٧/٢) . وأقول : قد تكون النسخة نفيسة ، أما أنها فريدة فلا ، فقد ذكر بروكلمان نسخة أخرى منها في القاهرة (ملحق ٢٤٧/١) ، وهذا شأن الذي يعتمد كلياً على ذكاء المفهرسين أو غفلتهم . فقد نقل الواصف الفاضل ما ذكره المفهرس في نسخة كتاب الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب للقاضي الخيضري المتوفى سنة ٨٩٤هـ ، إن النسخة «فريدة بخط المؤلف» . والسؤال : كم من المفهرسين يستطيع تمييز خطوط العلماء ؟ فقد يكون الناسخ قد نقل ما كتب المؤلف في نهاية كتابه حرفياً ودون أن يذكر اسمه أو سنة النسخ فيظن المفهرس غير المتمرس أن هذه النسخة بخط المؤلف ، ومثل هذا كثير جداً في المخطوطات ؛ ثم إن نسخة المكتبة العباسية في البصرة ليست فريدة فإن لها أختًا في المدينة المنورة (بروكلمان ملحق ١١٦/٢) .

ويذكر الخبير أيضًا كتاب العالي الرتبة في أحكام الحسبة لأحمد بن موسى بن نصر الدمشقي الخويّ الشافعي ، «من القرن ١٤ ، نسخة بخط المؤلف» ، وهو يريد : القرن الثامن للهجرة . وهذا عنوان غريب لمؤلف أغرب ؛ لأننا نعرف من كتب الحسبة :

١ – نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبدالرحمن بن نصر الشيزري ، بتحقيق الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦ .
٢ – معالم القربة في أحكام الحسبة لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ، مطبوع في لندن ١٩٣٨ بعنوان معالم القربة في أحكام الحسبة بتحقيق ليفي وفي القاهرة سنة ١٩٧٦ . ومنه مصورة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية من نسخة إستانبولية تحمل عنوان : الرتبة في طلب

الحسبة منسوبة للماوردي .

٣ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة لمحمد (أو : عبدالله) بن أحمد بن بسام ، وهو مطبوع بتحقيق حسام الدين السامرائي في بغداد سنة ١٩٦٨ .

٤ - نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عمر السنامي ، وهو أيضًا منشور بتحقيق موئل يوسف عزالدين في الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥ - المخبأ والرغبة في أحكام الحسبة ، منه نسخة مخطوطة في جامع الزيتونة بتونس (بروكلمان ١٢٥٤/٢) .

٦ - آداب الحسبة لأبي عبدالله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي ، من مطبوعات معهد العلوم المغربية في باريس ١٩٣١ .

٧ - الحسبة في خطة الحسبة لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط برقم ج ١٣٥ .

والسؤال : هل إن مخطوطة المكتبة العباسية هي إحدى هذه المؤلفات أم إنها تصنيف جديد لا نعرف عنه شيئاً ؟ والظاهر أنها نسخة من كتاب ابن الأخوة السابق .

وفي وصف فهارس جامعة البصرة (٢٨/٢) ، نسب الخبير كتاب اختلاق الأحاديث للإمام الشافعي، والصواب: إنه كتاب اختلاف الأحاديث . والفرق هائل بين العنوانين . والظاهر أنه خطأ طباعي لأن الكتاب مطبوع ومعروف . ولا يسلم كتاب في الخافقين من أخطاء طباعية قط .

وفي تعداد نفائس المخطوطات في المكتبة المركزية العامة بالموصل (٣٧/٢) ذكر الواصف الفاضل مخطوطة كتاب واقعة المفتين لعبدالقادر بن يوسف الحلبي الحنفي الشهير بنقيب زاده (وليس بقدوري أفندي) وقال : «المتوفى سنة ١٠٨٣هـ ، نسخة حسنة بخط المؤلف» . وأقول : المعروف إن وفاة المؤلف كانت في سنة ١١٠٧هـ (كحالة ٣٠٨/٥ ؛ بروكلمان ٣٨٧/٢ وملحقه ٥٢٥/٢) ؛ والمعروف أيضًا من بعض مخطوطات واقعة المفتين (وتسمى أيضًا : فتاوى عبدالقادر كما يظهر في نسخة ليدن Or. 6290 المؤرخة في سنة ١١٠٦ - ١١٠٧هـ) أن نقيب زاده فرغ من تأليفه في سنة ١٠٩٦هـ : أي قبل وفاته بـ ١١ سنة . فإذا افترضنا جدلاً أنه توفي سنة ١٠٨٣هـ وأنه ألف الكتاب سنة ١٠٩٦هـ فيكون عمره حين كتب النسخة ١٣ سنة إلا إذا كان المؤلف من بواقع الدهر ، فهل النسخة بعد ذلك بخط المؤلف ؟ وهذا أيضًا من فلتات المفهرسين التي تبناها الواصف دون تحقيق . والكتاب بعد كل هذا مطبوع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠١هـ .

وقال الخبير أيضًا (٤٦/٢) إن نسخة كتاب المسائل الشيرازيات لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار النحوي المتوفى سنة ٣٤١هـ «بخط المؤلف ومؤرخة في سنة ٣٩١هـ» ، فأنى يكون ذلك ؟ ! فهل كتبها بعد موته بخمسين سنة ؟ أم أن المفهرس قد أخطأ فنقل الواصف هذا الخطأ دون تمحيص ؟ أم أنه سهو أو خطأ طباعي وهو آفة لا يسلم منها كتاب قط ، فإذا كان هذا الكتاب لأبي علي الفارسي واسمه أيضًا الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن محمد الفسوي ، فإنه ولد سنة ٢٨٨هـ وتوفي سنة ٣٧٧هـ ، ولم يذكر سزكين هذا الكتاب ضمن ما ذكر من مؤلفات أبي علي الفارسي بيد أن النديم (٦٩ طهران) ذكره ضمن مؤلفاته وكذلك فعل ابن خلكان (٨١/٢ إحسان عباس ، وياقوت ٧ / ٢٤٠ أحمد فريد رفاعي) . ومع كل هذا فإن الكتاب حققه جابر منصور ونال بذلك شهادة جامعية سنة ١٩٧٦ من كلية الآداب - جامعة عين شمس .

وفي تعداد نفائس مكتبة الأوقاف العامة في السليمانية (٤٧/٢) ذكر الخبير الفاضل كتاب طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن لابن وهّاس الخزرجي اليمني المتوفى سنة ٨١٢هـ ، وقال إن النسخة «فريدة في جزءين ومؤرخة في سنة ٩٩٩هـ و ١٠٠٠هـ» . وأقول : إن هذه النسخة حسنة بيد أنها ليست فريدة ، لأن مكتبة جامعة ليدن تحتفظ بنسخة منها مؤرخة في سنة ١٠٣١هـ، وذكر بروكلمان نسخة أخرى في المتحف البريطاني (١٨٥/٢) . فلعل هذا وغيره من أخطاء مفهرس المجموعة فنقلها الواصف دون توثيق لها .

وفي الصفحة ذاتها ينقل الواصف الكريم معلومات المفهرس حول كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان لأبي عبدالله الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبِي (بكسر الطاء كما ورد في بغية الوعاة ٥٢٢/١ وليس الطُيبي كما ورد في وصف الواصف) المتوفى سنة ٧٤٣هـ فيقول : «نسخة مهمة وفريدة كتبت في سنة ٧٣٨هـ وقرئت على المؤلف» . وأقول : إن كل هذا قول حسن جميل فقد تكون النسخة مهمة بسبب أنها قرئت على المؤلف بيد أن هذه النسخة ليست فريدة إطلاقًا ، فقد ذكر بروكلمان (٦٤/٢

وملحقه ٦٧/٢) أن المؤلف فرغ من تصنيفها سنة ٧٢٥هـ وشرحها في سنة ٧٣٧هـ وأن منها نسخًا في برلين وباريس ونسختين في المتحف البريطاني وواحدة في الأسكوريال وأخرى في نور عثمانية وأخرى في الإسكندرية مع شرح تلميذه علي بن عيسى وأخرى في القاهرة وفي بانكبور ؛ ناهيك عن الفهارس الحديثة التي لم يرها بروكلمان ، فهل بعد كل هذا يصح أن نقول إن نسخة مكتبة الأوقاف العامة في السليمانية فريدة ؟

ومثل ذلك قول الخبير الفاضل (٤٨/٢) : «تذكرة الحفاظ لمحمد المقدسي الشيباني ابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧هـ» . وأقول : إن ابن القيسراني المعروف باختصار المصنفات ليس له كتاب بهذا العنوان . فإذا كان كتاب تذكرة الحفاظ هذا في الموضوعات من الحديث الشريف فهو بعنوان تذكرة الموضوعات ، وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ وسنة ١٣٢٧هـ وحققه محمد أمين ونشره في القاهرة أيضًا سنة ١٩٣٥ بالمطبعة المحمدية التجارية . وإن كان في الرجال فعنوانه : ذخيرة الحفاظ على الحروف والألفاظ وقد اختصر فيه كتاب الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث لعبدالله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٧٥هـ ، ومنه نسخة في مكتبة كوبر لوزاده برقم : ٢٩٠ .

ومع هذا فإن الواصف الخبير يستحق كل مديح وثناء على جهده الذي لا يعرفه إلا من عانى مثل عمله بالرغم من الصعوبات والإحباطات التي لابدَّ منها فقد أوفى في معلوماته الجمة وخبراته الواسعة واستوفى الوصف في ما هو متوافر بين يديه إلا أنه أغفل ذكر كثير من المجاميع الخطية الأخرى في مختلف المدن العراقية الأخرى مثل مجموعة المكتبة العامة في سامراء التي رأيت لها فهرسًا لم ينشر بعد كتبه السيد عبدالرزاق بن شاكر البدري - رحمه الله - أمين المكتبة منذ سنين . ثم مجاميع المدارس العلمية في المدن العراقية المختلفة كالحلة مثلاً . ثم هناك المجاميع الصغيرة التي لم تفهرس بعد في كل من المكتبات العامة في بعقوبة وخانقين والعمارة والكروت والرفاعي وغيرها إضافة إلى المجموعات الخاصة المسجلة التي أشار إليها الواصف في مقدمته (١٩،٤/١) بأنها بلغت خمسين ألف مخطوطة (وانظر ما قاله الواصف في مجلة المورد : إن المخطوطات الخاصة المسجلة حتى عام ١٩٧٦ نحو ثلاثين ألف مخطوطة ، مج٥ ع١ /٦٤) ؛ كل ذلك ليس له ذكر في تقرير الواصف الكريم وأخيراً ماذا حلَّ بمجموعة سعيد الديوه جي في الموصل التي احتوت على ٢٢٠ مخطوطة وضمت عدداً من المجموعات ؟ انظر : خزانة سعيد الديوه جي : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد التاسع / الجزء الثاني (١٣٨٣هـ/١٩٦٣) ، صفحة ٢٠٣ - ٢٣٠ .

وبعد : لا عذر لجفري روبر حين استبعد أكثر المجاميع الخاصة ومجاميع الأديرة والهيئات الكنسية النصرانية في مختلف المدن العراقية من هذا المسح بسبب التغييرات السياسية والعسكرية ، واقتصر فقط على المجاميع المعروفة رسمياً مع أنه أدرج أمثالها وبخاصة في لبنان في وصف الواصفين الآخرين ولسبب بسيط قد يجهله جفري روبر وهو أن هذه المجموعات الخاصة والعامة معروفة وفهارسها المنشورة وغير المنشورة متداولة بين المعنيين والمهتمين بالمخطوطات بعامة والإسلامية منها بخاصة ، وسبق لسزكين أن ذكر الكثير منها في ٣٥٩/٦ - ٣٧١ .

المخطوطات في إيرلنده

ومع وجود بعض المخطوطات الإسلامية الصغيرة في أماكن أخرى في إيرلنده فإن مجموعة جستر بيتي الخطية الإسلامية المعروفة في العالم العربي والإسلامي يمكن أن تعد أهم مجموعة خطية إسلامية فيها إذ لا تكاد تخلو مكتبات الجامعات من مصورات كاملة من هذه المجموعة فقد سهَّل القائمون على المكتبة الحصول على مصورة أية مخطوطة فيها أو حتى جميعها لقاء ثمن بالطبع إلا أنها أسرع المكتبات في تلبية طلبات التصوير فهم يستحقون كل ثناء وشكر .

لقد وصف فهارسها وفهارس المجموعات الأخريان كنابرت وديفد جيمس المحافظ السابق لها . فقد جمعها الثري الإيرلندي ألفرد جستر بيتي مثل ما جمع غيرها من التحف والآثار الشرقية عبر وكلاء معينين في الشرق بعامة والأوسط بخاصة ، وهذا ما يظهر في مجموعة المراسلات بين هؤلاء وبين جستر بيتي منذ سنة ١٩١٤ وهي محفوظة الآن في المكتبة حسب ما أشار إليها الواصفان وقالا : إننا نستطيع من خلالها التعرف على مصدر المخطوطات والأماكن التي كانت فيها قبل وصولها إلى حوزة المالك الجديد .

وذكر الواصفان الفهارس السبعة الأنيقة المعروفة التي صنفها آرثر جون أربري للمجموعة الفارسية بالاشتراك مع غيره وكتابه النفيس في المصاحف المزوقة إضافة إلى الجزء الثامن الذي نظمته أورزولا لايونز في فهارس الأعلام والعناوين للمجلدات السبعة. ومع أن أورزولا لايونز أصلحت بعض المواضع القليلة فيها (Errata) إلا أنها أخطأت فيما ظنت أنه الصواب مثل قولها في التعريف بكتاب تحقيق الصفا في تراجم بني وفا لمحب الله (الصواب: محب الدين محمد بن عبدالعزيز) بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ: «معجم تراجم رجال من اسمه وفا». والصواب أنه في تراجم آل وفا الصوفية المشهورة طريقتهم في مصر وتسمى الطريقة الوفائية (انظر ما قاله الشعراني في طبقاته ١٩/٢ والعابد الفاسي في فهرس خزانة القرويين ١١٩/٤ فيهم مثلاً). ومع هذا فإن الفهارس السبعة بالرغم من فائدتها القصوى فإنها لا تزال مليئة في نسبة بعض المؤلفات إلى غير أصحابها وفي أخطاء تواريخ النسخ وفي سرعة حكم آرثر جون أربري على بعضها بقوله: «لا يظهر أن هناك نسخة أخرى مسجلة منها»، مثل ما قال في المخطوطة رقم: ٥٣٦٣ (آداب المريدين للوزان)، وذكر أن تاريخ نسخها في رجب سنة ٧٦٦هـ، والصواب ٩٠٦هـ ولم يذكر ناسخها حسن ابن محمد بن حسن الأفضل (...) علي بن السلطان الملك المظفر بن المنصور محمد بن المظفر بن الخطاب عمر بن شاه بن أيوب وذكر النساخ من شرطه. ثم إن هناك نسخة أخرى منها مسجلة في مكتبة قسطموني بإستانبول ضمن مجموعة برقم: ٢٧١٣ وهي مؤرخة في سنة ٦١٥هـ ومنها مصورة في معهد المخطوطات العربية.

وقوله في مخطوطة رقم: ٥٤٣٥ «قطعة من تاريخ الإسلام غير معروف بعد، كتبه يعقوب بن عبدالحق بن محمد القرشي». وأقول: إن المخطوطة قطعة من كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وهي تحتوي على حوادث السنين ٣٦٥ - ٣٩٩هـ، وناسخها العريشي وليس القرشي.

وقوله في مخطوطة رقم [(١٩) ٥٥٠٠] وهي: المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة لابن حجر العسقلاني، «لا يظهر أن هناك نسخة أخرى مسجلة». وأقول: إن هناك نسخة منها في مكتبة البلدية في الإسكندرية وأخرى وصفتها حديثًا في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم: ٦٣٣٩ وهناك مختصر لها في جوتا.

وقوله في مخطوطة رقم: ٥٣٤٩ إنها إرشاد المريدين في حكايات الصالحين لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ. وأقول: إن عنوان المخطوطة هو أخبار الصالحين لتقي الدين عبدالملك الحسيني الحنفي كما ورد في نهاية المخطوطة؛ وهو مؤلف لا نعرف عنه شيئاً حتى الآن في الأقل، ثم إن محتويات الكتاب تنفي نسبته لابن الجوزي فهو يذكر حكايات عن يحيى بن شرف النووي المولود سنة ٦٣١هـ والمتوفى سنة ٦٧٧هـ (ورقة ٤٥ ب) وعبدالعزيز الديري أو الديرني المولود سنة ٦١٢هـ والمتوفى سنة ٦٩٧هـ (ورقة ٨٨ ب) وأبي الحسن الشاذلي المولود سنة ٥٩١هـ والمتوفى سنة ٦٥٦هـ وعن نجم الدين محمود الأصفهاني شيخ أبي الحسن الشاذلي (الطبقات الكبرى للشعراني ٤/٢)، وأمثال ذلك كثير لا مجال هنا لسردها.

وبعد: فإن الفهارس بجملتها تحتاج إلى توثيق شامل وتدقيق كامل وتنظيم جديد إذ إنه يورد عدداً من النسخ لنص واحد في أماكن متفرقة من الفهارس، ولعل محمود شاكر سعيد الذي ترجم هذه الفهارس لمؤسسة آل البيت في عمان قد أقام ما فيها من عوَج وصحح ما حدث فيها من أخطاء على ضوء ما نشر من الفهارس الجديدة، وإلا فإنَّ ترجمته لا فائدة جديدة ترجى منها.

ولعل الجديد في وصف الواصفين هو أننا عرفنا منهم أن مكتبة جستر بيتي قد اقتنت ١٥٢ مخطوطة عربية إضافة إلى ٢٣ مخطوطة بالفارسية بعد نشر فهارس أربري منها: ذيل تاريخ ابن قاضي شهبة بخط المؤلف ومؤرخة في سنة ٨١٠هـ. ويقول الواصفان إنه تكملة تاريخ ابن قاضي شهبة (٥٥/٢). والظاهر أنه المختصر من تاريخه الكبير الذي ذيل به على الذهبي والبرزالي وابن كثير. والمختصر منشور في دمشق بتحقيق عدنان درويش سنة ١٩٧٧. وتاريخ حضرموت لأحمد بن عبدالله المعروف بـ: شنبل (الصواب: ابن شَنْبَل) والعقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لعلي أفندي بن بالي المتوفى سنة ٩٩٢هـ وهو تكملة كتاب الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده ودمعة الباكي ويقظة الساهي لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري وغير ذلك إضافة إلى ٢٧ وثيقة بردية يحتوي بعضها على أجزاء من المعلقات.

وذكر الواصفان أيضًا فهارس المجموعات الصغيرة

الأخرى المنشورة وغير المنشورة الموجودة في دبلن وبخاصة في مكتبة كلية ترنتي (١١٧: ٣٥ مخطوطة عربية؛ مخطوطتان بشتويتان ؛ و ٦٨ فارسية ؛ وواحدة بنجابية ؛ وواحدة سواحلية ؛ و ٧ تركية ؛ و ٣ أردية) والتي جاءت إلى هناك عبر قنوات مختلفة مثل غنائم الحروب من أقطار كانت تحت الحكم الاستعماري البريطاني كالهند ومصر ونيجيريا وقبرص . وازداد هذا العدد بعد سنة ١٩٠٠ فأضيف لها ١٨ مخطوطة عربية و ٦ مخطوطات فارسية وواحدة سواحلية وبشتويتان .

والذي لم نفهمه من الواصفين قولهم في وصف نسخة من المصحف الشريف في هذه المكتبة : «وفيها نسخة حسنة جداً من القرآن تعود للقرن ١٥ (أي : التاسع للهجرة) من فترة السلطنة» (٦٢/٢) . فلعلهم يقصدون سلطنة تيبو TIPU وإلا فإن كلامهم معمًّى غير دقيق . ومع كل هذا فإن وصف الواصفين يتسم بالدقة والشمول ويدل على معرفة دقيقة بالفهارس ومحتوياتها .

المخطوطات في إيطاليا

وصف فهارس إيطاليا ثلاثة من العارفين هم : باولا اورزاتي ، بارتولوميو بيرون ، الدو جالوتا وصفًا يدل على جهد جهيد يستطيع القارئ معه أن يخرج بانطباع واضح عن مجاميع المخطوطات الإسلامية في إيطاليا (لم يصفوا فهارس الفاتيكان لأنه دولة مستقلة) وفكرة أوضح عن اهتمام المؤسسات الكنسية والتنصيرية بالمخطوطات الفارسية بما فيها ترجمات الإنجيل للفارسية التي يجدها منثورة موزعة في معاهد كنسية كثيرة أو إنها نقلت من الأديرة إلى هذه المعاهد ، وهذا يرجع تاريخياً إلى النشاط التنصيري الكاثوليكي في إيران والهند بالذات إذ كانت الفارسية لغة البلاط في الهند أيضًا وهذه الظاهرة تذكرنا بكتاب آينه حق نما (مرآة الحق) الذي كتبه في سنة ١٥٩٦م (١٠٠٥هـ) المنصر الكاثوليكي الجزويتي زير ونمو زفير لتفنيد الإسلام وإثبات أن النصرانية الكاثوليكية أحق أن تتبع وقدمه إلى السلطان جهانكير فرد عليه أحمد بن زين العابدين العلوي بالفارسية أيضًا فرد عليه فليبو جوداجنولوس باللاتينية أولاً ونشر سنة ١٦٣١ ونشر هذا الكتاب ثانية بالعربية في سنة ١٦٣٧ بعنوان : اعتذار الديانة النصرانية (الفهرس الوصفي ٣٦) .

ويخرج القارئ أيضاً بفكرة أخرى وهي أن كثيراً من المخطوطات الإسلامية في إيطاليا قد تأثر بالحرب العالمية الثانية فبعضها أحرق أو أصاب بعضها الآخر التلف . ومع هذا فإن المخطوطات الإسلامية تكاد تنحصر في مركزين ، هما : مكتبة الأمبروزيانا في ميلان إذ تحتوي على ٢٣٥٥ مخطوطة عربية وفارسية وتركية ، ومكتبة الفاتيكان التي لم توصف فهارسها بعد . ومع ذلك فإن هناك مجموعات نفيسة في كل من بولونا وفلورنس ونابولي وبالرمو وروما وتورين تصل إلى ما يقرب من ألفين وخمس مئة مخطوطة ، بعضها فريد فعلاً مثل كتاب النخلة (وليس النخل ٩٦/٢) لأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠هـ (بروكلمان ١٠٧/١ وسزكين ٣٣٦/٤) والمنسوخ في سنة ٣٩٤هـ وبعض قطع من المصحف الشريف مكتوبة على ورق البردي (٩٠/٢) أو من النوادر مثل كتاب لسان الشعراء وبيان الفضلاء وهو معجم فارسي قديم (٧٨/٢).

المخطوطات في ساحل العاج

في مدينة أبيجان العاصمة :

قام بوصف الفهارس فيها بابا يونس محمد ، وبدأ في وصف المخطوطات العربية المحفوظة بدار الوثائق (الأرشيف) الوطنية في أبيجان العاصمة ، والتي لم ينشر لها فهرس بعد ، فذكر أنها تحتوي على ١٥٣٠ مخطوطة عربية أهدت معظمها الإدارة الاستعمارية السابقة في ساحل العاج للدار (من أين جاءت بها ؟ !) والبعض الآخر اشترته الدار من الأفراد . فهناك ٢٠٨ مخطوطات في الفقه و ١٧٠ في علوم القرآن و ٩٠ في العقيدة و ١٤٧ في الحديث و ١٠٠ في الحساب و ١٠٨ في الزهد و ٨٧ في الشعر و ٧١ في النحو والقواعد و ١١٥ في التصوف و ٩٠ في علم الفلك والهيئة و ١٢٣ في التاريخ و ٥٤ في الترسل و ٥١ في الأنساب و ٦٠ في الطب و ٦ في التفسير و ٥٠ في الفتاوى . وذكر الواصف من مخطوطاتها المهمة : كتاب مرتقى الأصول إلى الضروري من الأصول (غير مؤرخة) لابن عاصم (١٢٠/٢) . وأقول : الصواب هو : مرتقى الوصول إلى معرفة علم الأصول إلا إذا كان الأول نوعًا من الشرح أو الاختصار . والمؤلف هو أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القيسي المالكي الغرناطي المتوفى سنة ٨٢٩هـ .

لعل الطريف في مجموعات ساحل العاج الخطية الموجودة في المكتبات الخاصة التي وصف الواصف محتوياتها في المدن المختلفة أن معظمها ، إن لم تكن كلها، لم تفهرس إلا محتويات دار الوثائق التي فُهرس أغلب ما فيها من مخطوطات على بطاقات فقط ؛ بل إنها لم تعرف خارج ساحل العاج إلا من إشارة مقتضبة في مقال نشره فنسنت مونتيل حول مخطوطة واحدة إلى وجود بعض المخطوطات في أربعة أماكن أخرى في ساحل العاج ومقال بول مارتي الذي ذكر فيه محتويات ٨ مكتبات ، وذلك بنشر سجلاتها بالعربية في : Paul Marty, Revue du Monde Musulman, Paris 1922, pp 274-277, Annexes III-IX, pp. 463- 480. والظاهرة الأخرى أن كل المجموعات الخطية التي وصفها الواصف إنما هي مجموعات خاصة أما في حيازة أفراد أو في مدارس إسلامية وإليك سرداً بهذه المجموعات لكي يتعرف عليها القراء :

في مدينة بوندوكو : ٤٨٦ مخطوطة في مكتبة الحاج عبدالباقي بن ناجي ، منها ٣٠ في التصوف و ٨٣ في التوحيد و ١٥ في الأساطير والقصص و ١٨ في القرآن وعلومه و ٩٣ في الشعر و ١٠٥ في التاريخ و ١٢٠ في الفقه و ٢٢ في الحديث وعلومه ، وتحتوي على بعض النوادر منها شرح العمليات الفاسية لمؤلف لم يعرف بعد وكتبت سنة ١٢٠٩هـ . وأقول : إن كتاب العمليات الفاسية لأبي زيد عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي المتوفى سنة ١٠٩٦ وقد شرحها أبو القاسم سعيد العميري التادلي وأبو عبدالله محمد بن قاسم السجلماسي الرباطي (بروكلمان ملحق ٢/٦٩٤ - ٦٩٥) فلعل النسخة هي أحد الشرحين .

وفي مدينة بواكا : مكتبة الشيخ يوسف توري/ مدرسة إحياء الدين ٧٦ مخطوطة أهداها مؤسس المدرسة الشيخ يوسف توري إلى المدرسة ، منها ١٠ في التوحيد و ١٥ في الفقه و ٢٦ في السيرة و ٧ في الفلسفة وواحدة في التفسير و ٧ في المواعظ و ٦ في الأدب و ٤ في الأصول . ومن نوادرها كتاب فيض الفاتح المالك في أصول الإمام مالك للأرواني محمد بن محمود بن الشيخ .

وفي مدينة بونا : مكتبة الشيخ بكر كونتي / مدرسة الإرشاد ٥٤ مخطوطة ، اقتنى الشيخ بعضها بالشراء ونسخ البعض الآخر بيده ، منها ٥ مخطوطات في الأنساب و ٩ في الفقه و ٢٠ في أصول الفقه و ١٦ في التصوف و ٣ في الفلسفة ومصحف واحد . ومن نوادرها : فوائد من غابر الأخبار في تاريخ الدول وأصول الأنساب لمحمد السالك بن الخياط وكتاب أمهات الوثائق في الفقه لداوود التملي .

وفي مدينة بونديالي : مجموعة أحمد بن عثمان / المسجد المركزي ٩٧٠ مخطوطة وقال الواصف فيها : «لعلها أكبر مجموعة في هذه المدينة» (١٢٢/٢) ، فهل يعني هذا أن هناك مجاميع غيرها في المدينة لم يتسن له وصفها ؟ ثم أخبرنا الواصف أن هذه المجموعة إنما هي في الأصل لفائدة مريدي الطريقة التيجانية هناك وقد جمعها الشيخ أحمد بن عثمان إما بالشراء من الأفراد في داخل ساحل العاج أو من الأقطار الأخرى أو إنه وتلاميذه قاموا بنسخ بعضها الآخر ، وأن بعضها وصل إلى المكتبة بطريق الإهداء . وفيها ٢٢ مخطوطة في الفلسفة و ١٠٠ في التاريخ و ١٩ في البلاغة و ٢٨ في القصص والأساطير و٢٣٢ في التصوف و ٢٥٢ في الفقه و ٢١٥ في أصول الدين و١٠٢ في الطب ، ومن نوادرها : كتاب تكميل المنهاج إلى أصول المذهب لمحمد بن أحمد ميارة (المتوفى سنة ١٠٧٢هـ) وكتاب شرح الرسالة السمرقندية في الاستعارات للدمنهوري .

وكنا نود أن الواصف الكريم ذكر لنا بعضاً من نوادر التاريخ والتصوف والفلسفة والطب لا سيما وأن المجموعة غير معروفة بعد خارج ساحل العاج ، ولعل مؤسسة الفرقان تكمل هذا الصنع الجميل فتعهد إلى الأخوة في أفريقيا وغير أفريقيا بفهرسة ما لم يفهرس ومنهم الواصف وتقوم بنشر هذه الفهارس فإن ذلك من صلب مسعاها الجليل في الحفاظ على التراث الإسلامي ونشر معرفته .

وفي البلد نفسه هناك مجموعة خاصة لعالم مامي فودي ابن عباس وتحتوي على ٤٩ مخطوطة ، منها : ٥ في الفتاوى و ١٥ في علوم القرآن والحديث و ٧ في السيرة النبوية و ٨ في التصوف و ٤ في الزهد ، وواحدة في التاريخ و ٧ في الفقه واثنان في العقيدة . ومن نوادرها : كتاب إحياء علوم الدين للغزالي .

وفي مدينة دابكالا : هناك مجموعة السيد سليمان العلوي الخاصة : ٢٢٨ مخطوطة عربية ، وكان قد جمعها المالك أثناء دراسته وإقامته في فاس بالمغرب التي

استمرت عشرين عامًا ، وتحتوي على بعض النوادر بخط المؤلفين إلا أن الواصف لم يذكر واحدة منها وكنا نود أن قد فعل ، منها ٨ مصاحف (أو في علوم القرآن ؟) و ١١ في الشريعة و ١٥ في التصوف و ٩ في البلاغة و ٤ في المنطق و ٣٠ في الفقه و ١٩ في أصول الفقه و ٥ في النحو و ١٣ في علم الفلك والهيئة و ٤٨ في الحديث و ٤١ في الزهد و ٢٥ في العقيدة . ومن المخطوطات المهمة : شرح ألفية ابن مالك لشارح لم يعرف بعد ، نسخها حسن بن محمد الطاهر في سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧) . وكتاب «نظم الفرائض [لابن رشد] لعبدالرحمن ، مؤرخة في سنة ١٧٦٨» [١١٨٢هـ] .

وأقول : إن كتاب الفرائض هو كتاب المقدمة في الفرائض لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠هـ ، أما كتاب نظم الفرائض فهو لعبدالرحمن الرقعي المالكي المتوفى بعد سنة ٨٥٣هـ (فهرس الخديوية ١٨٦/٣)، وذكر بروكلمان نسختين منه ، وطبع في القاهرة سنة ١٣٠٠هـ (ملحق ٦٦٢/١) .

وفي مدينة فرنتلا : هناك مجموعة يعقوب بن موسى ١٢٨ مخطوطة عربية كان المالك قد ورثها من والده عالم أمامو موسى . وتحتوي هذه المجموعة على مخطوطة كتبت في سنة [٩٠٣هـ] ١٤٩٧م . أما محتوياتها فهي : مخطوطتان في الشعر و ١٧ في التاريخ و ٤ في الفلسفة و ٣٥ في القرآن وعلومه و ٨ في الحديث و ١٥ في الطب و ٢٢ في الفقه و ١٥ في العقيدة و ٦ في الترسل و ٤ في علم النجوم . ومن نوادرها : كتاب واسطة السلوك لأحمد السنوسي وتاريخ خلفاء الفواتيين لعباس الجباوي السوسيري ورسالة في العمل بالربع المجيَّب للماريديني . وهذه المجموعة أيضًا لم تفهرس بعد مثل السابقات .

وفي مدينة جونتجوالا : هناك مجموعة أبي الحسن محمد الخاصة / معهد الإسلامية ٧٠ مخطوطة عربية جمعها المالك بطريق الشراء من مصادر محلية ونسخ المالك أربع مخطوطات منها بخطه وهي تحتوي على: ٥ مخطوطات في علم النجوم ٢ من المصاحف (أو علوم القرآن ؟) و ٩ في الحديث و ٢ في التفسير وواحدة في السيرة النبوية و ٤ في التاريخ و ٢٥ في التصوف و ٨ في المنطق وطرق البحث و ١١ في الطب و ٣ في المواعظ . ومن نوادرها : كتاب ضياء التأويل في ٨ مجلدات لعبدالله فوديه وللمجموعة سجل غير منشور بعد .

وفي مدينة كونج : هناك مجموعة ابن عمر كونج الخاصة ١١٠ مخطوطات وهي : ١٨ مخطوطة في القرآن وعلومه و ٤ في الحديث و ١٠ في الفقه و ٢٥ في العقيدة و ٢٢ في التصوف و ١٧ في الطب و ٥ في المنطق وطرق البحث و ٣ في التاريخ و ٥ في النحو وواحدة في الزهد . ومن نوادرها : كتاب الجواهر الحسان (لعله يريد الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعلبي أو الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٣هـ) وكتاب عقيدة الإيمان لمؤلف لم يعرف بعد وكتاب متن الجامع الصغير لابن أحمد السنوسي .

وأقول : إن كتاب عقيدة الإيمان هو نفسه كتاب ابن رشد السابق المقدمة في الفرائض (ويسميه بروكلمان عقيدة الإمام ، ملحق ٦٦٢/١) . للمجموعة سجل يحتوي على وصف المخطوطات .

وفي مدينة كورهوجو : هناك مجموعة صغيرة ١٠ مخطوطات في المسجد الجامع فيها ، جاءت إلى المسجد بطريق الإهداء من الصالحين وهي تحتوي على ثلاث نسخ مزوقة من المصحف الشريف وعلى كتاب تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي إضافة إلى كتاب الموطأ للإمام مالك وصحيح البخاري . ولا يعرف الواصف إذا كانت هذه المجموعة قد فهرست في سجل خاص .

وفي المدينة نفسها : هناك مجموعة محمد بابا كورهوجو ٢٣٠ مخطوطة . وقد جمعها المالك بالشراء بعد أن رأى أن بعض المستشرقين الفرنسيين أثناء الاستعمار الفرنسي لساحل العاج يشترون المخطوطات من أصحابها فرأى أن خير وسيلة للحفاظ عليها وإبقائها في بلده أن يقوم هو بشرائها فكان له ما أراد بالرغم من مصادره المالية المحدودة .

يوجد للمجموعة سجل خاص نظمه المالك لمجموعته .

وفي مدينة مانكونو : هناك مجموعة عالمامو (العالم الإمام) فوفانا بن سعيد كراموكو الخاصة / المسجد الجامع ٣٢٤ مخطوطة عربية . جمعها العالم الإمام فوفانو نفسه ، والذي كان معروفًا بالعلم وجمال الخط ، فنسخ أكثر مخطوطات مجموعته . ويقول أولاده أنه جمعها من الأفراد بالشراء من ساحل العاج وغينيا . ومنها : حوالي ٩٠ مخطوطة في القرآن والحديث وعلومهما و ٤٩ في الفقه و ٨ في السيرة و ٣٠ في العقيدة و ١٦ في

التاريخ و ٢٠ في الشريعة و ٩٠ في الحساب و ٦ في الزهد و ٣ في التصوف و ٢ في الشعر و ١٠ في الفلسفة ومن نوادرها : كتاب فتح الرب الجليل على بزوغ الهلال بتذييل لامية الأفعال ليونس بن عثمان بن عمر ، دون تاريخ؛ وكتاب شرح الدرة البهية في حل ألفاظ القرطبية لمحمد بن إبراهيم التتائي والمخطوطة مؤرخة في سنة ١٧٠٤ (١١١٦هـ) . وأقول : ذكر بروكلمان أن كتاب الدرة البهية في حل ألفاظ القرطبية هو لمحمد بن يحيى بن خليل التتائي المتوفى سنة ٩٤٢هـ أما القرطبية فهي أرجوزة الولدان وتسمى المقدمة القرطبية ليحيى بن عمر بن سعدون الأزدي القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧هـ (بروكلمان ٤٢٩/١ وملحق ٧٣٦/١ ، ١٢٣٢/٣) .

نشر بول مارتي صورة لقائمة يدوية غير كاملة (١٩٢٢) لبعض مخطوطات المجموعة ولا يزال أكثر من ثلثيها غير مفهرس .

وفي مدينة نبيله : هناك مجموعة صادق ننديه (انندايا) / المدرسة الوطنية وهي ٦٥ مخطوطة عربية أهداها والد المالك الفا ننديه Alfa N'diaye إليه ويقول المالك : إنه ووالده قاما بنسخ كثير منها من الكتب الإسلامية المطبوعة ، أما محتوياتها فهي : ٦ مخطوطات في الزهد و ١٥ في علوم القرآن و ٧ في الحديث و ١١ في الفتاوى والمواعظ و ٨ في التصوف و ٨ في الفقه و ١٠ في التوحيد . ومن نوادرها : كتاب التوحيد ليوسف بن أبي بكر بن موسى ، مؤرخ سنة ١٨٠٨ (١٢٢٣هـ) .

المجموعة غير مفهرسة .

وفي مدينة أودينه : هناك مجموعة الشيخ عبدالله بن عمر تاج الدين الخاصة ١٠٥ مخطوطات عربية محفوظة عند أحفاده ، وقال حفيده الحسن إن جده جمع المخطوطات من مصادر متعددة في داخل ساحل العاج وفي خارجه ، وإن جده نسخ بعضًا منها بخطه وقد أثرى أحفاده المجموعة وذلك بالشراء أو بالإهداء من طلبة الشيخ وأصدقائه . أما محتوياتها فهي : ٢٣ مخطوطة في الفقه و ١٩ في العقيدة و ٢ في الشعر و ١٠ في الطب و ٨ في علم الفلك و ١٦ في المنطق و ٢ في الحساب و ٥ في التاريخ و ٢٠ في الفلسفة . ومن نوادرها : كتاب أخبار الزمان لمؤلف لم يعرف بعد . والبردة لمحمد المراكشي وكتاب معدن ذهب لعبدالله بن عمر تاج الدين صاحب المجموعة .

وأقول : لعل كتاب أخبار الزمان هذا هو للمسعودي (بروكلمان ١٤٤/١ وملحق ٢٢٠/١) أو لعله كتاب أخبار الزمان وعجائب البلدان وهو كتاب في القصص والأساطير (بروكلمان ملحق ٢٢١/١) . أما قصيدة البرءة (وليس البردة ، هذا من الأخطاء الشائعة) فلمحمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري المتوفى سنة ٦٩٤هـ وتعرف باسم : الكواكب الدرية في مدح خير البرية وهي مشهورة إلا إذا كانت هذه النسخة شرحًا لها .

وقد نشر بول مارتن قسمًا من سجلها اليدوي بالتصوير سنة ١٩٢٢ .

وفي المدينة نفسها : هناك مجموعة الشيخ هوبو سالم الخاصة ٢٥١ مخطوطة عربية . الطريف في هذه المجموعة أن الشيخ وأولاده وتلاميذه ، وعلى مدى ست سنوات ، قاموا بزيارة عدد من الشيوخ وقاموا بنسخ ١٥٠ مخطوطة في أماكن متفرقة من ساحل العاج . أما باقي المجموعة فتم شراؤه من دكاكين الكتب .

أما محتويات المجموعة فهي : ٣ مخطوطات في التفسير و ٥٦ في الحديث و ١٨ في الأدب و ٨٠ في الفقه و ٣٩ في الأصول و ١٤ في التاريخ و ١١ في الحساب و ٣٠ في الطب . منها ١٢ مخطوطة تحتوي على بعض الجوانب الخطية والفنية . ومن نوادرها : تفسير البيضاوي وتفسير النسفي ومختصر بداية المجتهدين لمحمد بن يحيى ابن سالم . فلعل الكتاب هو مختصر لكتاب بداية المجتهد لابن رشد .

المجموعة لم تفهرس بعد .

وفي مدينة سامتجويلا : هناك مجموعة الشيخ أحمد سينا / مدرسة علوم الدين ١٠٠ مخطوطة ، جمعت لمنفعة طلاب المدرسة بطريق الشراء من ساحل العاج وغينيا .

أما محتويات المجموعة فهي : مخطوطة واحدة في التفسير و ٢٠ في علوم الحديث و ٤ مصاحف (علوم القرآن) و ٢ في السيرة و ١٦ في الطب و ٢٨ في الزهد و ١٥ في التصوف و ٥ في النحو و ٨ في الفقه وواحدة في العقيدة و ٢ في الشريعة . ومن نوادرها : كتاب التنوير لمؤلف لم يعرف بعد ودون تاريخ ، وكتاب نازلة في شأن الجامع الكبير بتنبكت للإمام محمد بن عمر ، مؤرخة في سنة ١٩٢٤ ومقدمة في الفقه المالكي لعبدالباري

العشماوي، غير مؤرخة .

للمجموعة سجل خاص في المدرسة .

وفي مدينة تيبينا : هناك مجموعة الشيخ محمد ابن ليما / مدرسة نور الإسلام ٩١ مخطوطة عربية . مالكها الشيخ محمد بن ليما من العلماء الفضلاء ، جمع ما يقرب من نصفها أثناء رحلة دراسية إلى غينيا والباقي بالشراء من الأفراد داخل ساحل العاج .

أما محتوياتها فهي : ٣٠ مخطوطة في الفقه و ٥ في الفلسفة و ١٤ في المنطق وطرق البحث ومصحف واحد و ٦ في الحديث و ٢٦ في التاريخ و ٧ في الطب و ٢ في الزهد.

ومن نوادرها : كتاب المرائي الحسان لعبدالله بن أبي حمزة ، بدون تاريخ وكتاب تهذيب مراقي الصعود غير مؤرخ ومكتوب في التصوف لمحمد بن مختار الديماني ، مؤرخ في سنة ١٨١٩م .

المجموعة غير مفهرسة .

وأقول : إن كتاب المرائي الحسان هو لعبدالله بن سعيد ابن أبي جمرة (بالجيم والراء) الأزدي الأندلسي والكتاب منسوب في نسخة دار الكتب المصرية لأحمد بن محمد بن فرح اللخمي الإشبيلي ، والصواب أنه لابن أبي جمرة ، ومنه نسخة حسنة في جامع الشيخ بالإسكندرية برقم : ٢٠٨ .

أما كتاب مراقي الصعود لمبتغي الرقي والسعود فهو قصيدة في الفقه لعبدالله بن إبراهيم بن عطاء الله العلوي الشنقيطي المتوفى سنة ١٢٣٠هـ وقد شرحها الناظم نفسه بكتاب نشر البنود على مراقي الصعود وشرحها أيضًا محمد بن يحيى الحوضي الولاتي وكل ذلك مطبوع .

وفي مدينة توبه : هناك مجموعة الحسن إبراهيم الخاصة ٢٩٤ مخطوطة عربية وصلت إليه بطريق الإرث من أحد العلماء المغاربة الذي استقر في المدينة وأضيفت إليها مجموعة أخرى تقدر بخمسين مخطوطة .

أما محتوياتها : ١٩ مخطوطة في الشعر و ١٠ في الأدب وواحدة في التاريخ و ٣٥ في الأنساب و ٥٣ في الفقه و ٧٠ في العقيدة و ٧ في علوم القرآن و ٢٦ في الزهد و ٣٢ في الحديث و ٧ في الفلسفة و ١٨ في الطب و١٦ في الشريعة .

ومن نوادرها : كتاب النصيحة المحمودة والعزة المصمودة لمحمد الكونتي ، ومؤرخ في سنة ١٧٥٧م (١١٧١هـ) ، وكتاب النصيحة المهمة لمن يريد السنة المحمدية لمحمد بن سالم ، ومؤرخ في سنة ١٨٢٣م (١٢٣٩هـ) وكتاب متن المنان وشرحه شكر الإحسان لعبدالله ابن عثمان فوديه، ومؤرخ في سنة ١٨٢٨م (١٢٤٤هـ) .

للمجموعة سجل خاص عند مالكها .

إن الكثرة الكاثرة من محتويات هذه المجاميع غير معروفة إطلاقًا وبخاصة مؤلفات علماء ساحل العاج وما يجاورها من الأقطار الأفريقية ؛ بل إن الكثير منها نسخ فريدة على ما يظهر ، ولذلك لم يتعرض لها بروكلمان مثلاً لغياب فهارسها أو حتى معرفتها في الشرق الإسلامي أو حتى المغرب مع امتداد المد الثقافي من المغرب إليها . وقد أحسن الواصف بالرغم من الاقتضاب البيّن في العرض ، في التعريف بها ، ولا أكاد أشك بعد وصفه هذا في أن هذه المجاميع سوف تحظى باهتمام المختصين والدارسين. ولا ندري لماذا لجأ إلى تأريخ المخطوطات بالتاريخ الميلادي وهي ولابد مؤرخة بالتاريخ الهجري ؟ ولم يتنبه المحرر جفري روبر إلى ذلك ولم يصححه .

المخطوطات في اليابان

مكتبة جامعة كيوتو للدراسات الأجنبية

إن اهتمام اليابان بالمخطوطات الإسلامية بخاصة والكتاب الإسلامي المطبوع بعامة اهتمام حديث لا يتعدى السنين القليلة الماضية نتيجة الطفرة الصناعية الهائلة وتدفق الأموال وازدياد اهتمامهم الاقتصادي بالعالم الإسلامي لكونه سوقًا استهلاكيًا هائلاً لمنتجاتهم فاتجهوا إلى اقتناء مكتبات بكاملها من المطبوعات القديمة والحديثة ومن ضمنها المخطوطات من أماكن متعددة . فقد اشتروا مجموعتين **أولاهما** في سنة ١٩٧٥ وتتكون من : ١٢٣ مخطوطة عربية و ٦٩ مخطوطة فارسية و ٣٩ مخطوطة تركية ، قيل إنها من مكتبة السلطان حميد (أي حميد هذا ؟ لعله السلطان عبدالحميد الثاني العثماني ؟) ويقول الواصف إن معظمها منسوخ في القرن الثالث عشر للهجرة بيد أن بعضها نسخ في القرون الأربعة الماضية (أي : التاسع والثامن والسابع والسادس للهجرة) ، وقد نشر فهرس للمجموعة الفارسية والتركية فقط .

والثانية : اشتراها معهد الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو في سنة ١٩٨٧ من هانس دايبر ، المستشرق الألماني الأصل الذي يعمل الآن في الجامعة الحرة

بأمستردام وهي تتكون من ٣٦٧ مخطوطة منها ٣٥١ عربية و ٣ فارسية و ٧ تركية و ٦ عربية / تركية ، كان قد جمعها أثناء ترحاله وسفره المتكرر في أقطار الشرق الأوسط ونشر فهرساً خاصاً لها ثم أعاد المعهد الياباني نشره في سنة ١٩٨٨ بتعديلات طفيفة . فبالرغم من أن صاحب المجموعة قد بذل جهداً شاقاً في وصف كل شاردة وواردة في مجموعته ومشيراً بعد كل ذلك إلى بروكلمان وسزكين وكشف الظنون وغيرها ، فإن الخبير الحصيف يرى بكل سهولة أن الواصف كان يحفر البئر بإبرة ويحاول جاهداً أن يجعل من بعضها نوادر أو بخطوط أصحابها لتعظم قيمتها المالية والعلمية ، والواقع أن غالبيتها الغالبة إنما هي نسخ مدرسية تمر المئات من أمثالها بين يدي كل مفهرس ومصدرها في الأغلب من مكتبات المدارس العثمانية في تركيا والشام والعراق ولبنان ومصر إذ كان طلاب المدارس الملحقة بالمساجد يقومون باستنساخها أو إنها كانت تنسخ لهم لدراستها على الشيوخ مثل شروح الرسالة السمرقندية في الاستعارات والطريقة المحمدية للبركوي وشروحها ورسالة «أيها الولد» للغزالي وملتقى الأبحر للحلبي والعوامل المئة وشروحها (نسبة الكتاب لعبدالقاهر الجرجاني أو للبركوي ؟ انظر : مناقشة بهاء الدين عبدالرحمن الرصينة في مجلة عالم الكتب السعودية مج٧ ، ع٤ / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ ، ٤٧٤ - ٤٧٨ لمحقق شرح الأزهري على العوامل البدراوي زهران ورد للبدراوي زهران في مجلة عالم الكتاب المصرية ع١٣ ، يناير - فبراير - مارس ١٩٨٧ ، ٦٩ - ٧١) ورسائل الدواني وشروحها وحواشي شروح إيساغوجي وقصيدة الأوشي وعقيلة أتراب القصائد للشلطبي وأمثال ذلك ، وأوراق دشت متفرقة ما بين الورقة والورقتين وعدة أوراق أفردها الواصف بأرقام مفردة مستقلة .

ومن نوادر هذه المجموعة :

١ - كتاب نسب آل أبي طالب لأبي الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر [الحسيني] المتوفى سنة ٢٧٧هـ وهو يقع في ١٦ ورقة ومؤرخ في سنة ٥٥١هـ ومنه نسخة أخرى ببغداد (سزكين ١/ ٢٧٣) .

٢ - كتاب البحور الزاخرة في أحوال الآخرة لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨هـ وهو مؤرخ في سنة ١٢٧٧هـ ويقع في ٩ ورقات فقط .

ويقول الواصف إنه «لاتوجد منه نسخة أخرى مسجلة» .

٣ - وصية زين العابدين لولده أبي جعفر محمد ورسالته إلى محمد بن فاتح مؤرخة في سنة ٨٦٧هـ ، وهي تقع في ٩ ورقات فقط .

٤ - كتاب الجواب الشريف للحضرة الشريفة لعبدالغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ ، وهو يقع في ٨ ورقات . ويقول الواصف إن موضوعها يدور حول «إن أبا يوسف والشيباني لا يختلفان عن أستاذهما أبي حنيفة في وجهات النظر الفقهية» ، وهو مؤرخ في سنة ١١٠٠هـ بالمدينة المنورة .

٥ - كتاب نهاية المجلي ودرّة المنتدي لأحمد (في بروكلمان: محمد) بن محمد بن عبدالعزيز الأندلسي التونسي ، وهو شرح لكتاب منية المصلي وغنية المبتدي لسديد الدين الكاشغري ، ومنه نسخة أخرى في جامع الزيتونة بتونس (بروكلمان ملحق ١/ ٦٦٠) .

٦ - ديوان الصفا لأهل الوفا ويسمى أيضاً الدر النفيس من كلام ابن إدريس لحسين الحصني المتوفى سنة ١١٧٣هـ ، ويقع في ١٢ ورقة ونسخ سنة ١٣١٢هـ .

وفي المجموعة أيضاً نسخ حسنة بعضها مهم جداً للمهتم بعلم الاكتناه (الباليوغرافي) عموماً ومع كل هذا فقد بذل الواصف جهداً عجيباً في التتبع والاستقصاء واصطياد المعلومات عن كل ما يمكن أن يلقي شيئاً من الأهمية على هذه القطعة أو تلك في مجموعته وكان لابدّ أن تتسرب بعض الهنات هنا أو هناك أحببت إيراد بعضها عسى أن ينتفع بها المهتمون من اليابانيين إذا ما أعاد أحدهم وصف هذه المجموعة أو درسها .

١ - في صفحة ٥٥ ، قال الواصف عبدالله السكري الدمشقي : «قيل إنه كان حاكماً اعتماداً على المدرسة الحنفية» واقتبس نصاً بالعربية هو «الحكيم في المذهب الحنفي» وأشار إلى (كحالة ٦/ ٥٣) وهذه العبارة لم ترد عند كحالة ، ومعنى حكيم هنا : عارف عالم متضلع ضليع واسع العلم وليس حاكماً كما وردت عند الواصف is said to have been governor according to the Hanafite school .

٢ - وفي صفحة ٦٤ ، قال الواصف إن رسالة : «محمد

صالح (الصواب الصالح) بن عبدالرحمن الأوجلي تعليق مختصر على المنظومة التي جمع فيها ما يدخل تحت قول (وليس قولي) لا إله إلا الله محمد (وليس ومحمد) رسول الله ، «إن الرسالة والمؤلف لم يذكرا في أي مصدر بيو - بيلوجرافي» .

وأقول : لقد ذكرهما بروكلمان في ملحق ٢/٩٢٤ .

وأضيف : منها نسخة في مجموعة حسن حسني عبدالوهاب بتونس برقم : ١٨٥٦٦ .

٣ - وفي الصفحة نفسها نسب كتاب الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي ، وهذا خطأ شائع ، لعل الواصف تناوله في مقالته التي أشار إليها في الوصف ؛ لأن الكتاب قطعًا ليس من تصنيف السيوطي ، وإنما هو للمهدي بن علي بن إبراهيم الصنبري (وليس الصنوبري كما هو عند بروكلمان) الهندي اليمني المتوفى سنة ٨١٥ كما ورد عند حاجي خليفة ٨٣٦ (وانظر : مكتبة الجلال السيوطي ، أحمد الشرقاوي إقبال ، الرباط ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ ، ٢٠٢ وبروكلمان/ ١٨٩/٢ وملحقه ٢٥٢/٢ وفهرس الخزانة الحسنية لمحمد العربي الخطابي ، الرباط ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ ، ١١٠/٢ - ١١٤) .

٤ - وفي صفحة ٦٩ ، قال الواصف في وصف رسالة في علم آداب البحث : «إنها لطاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ مع شرحه عليها» .

وأقول : إن الواصف قد كرر الخطأ المشهور الذي وقع فيه بروكلمان والورد وغيرهما في نسبة النص ، والصواب أن أصل الرسالة رسالة في آداب البحث والمناظرة لعضد الدين الإيجي وشرحها لمحمد بن محمد البردعي التبريزي المتوفى سنة ٩٢٧هـ وقد نص على ذلك طاش كبرى زاده نفسه في كتابه مفتاح السعادة (بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ ، ٢٨٠/١) ، وقد حققهما مويئل عزالدين ونشرتهما دار أمية في الرياض سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١ .

٥ - وفي صفحة ١٢٣ ، قال في وصف شرح الداموني الدر الثمين لشرح الدور الأعلى لسيدي محي الدين : «إن هذا العنوان غير مذكور في أي مكان» .

وأقول : إن عثمان يحيى ذكره وذكر أكثر من نسخة من هذا الشرح ٢٩٥/١ بيد أنه أخطأ في سنة وفاته فقال: «توفي في سنة ١١٢٩» .

٦ - وفي صفحة ١٢٩ ، ذكر الواصف شرح عبدالغني النابلسي ورد الورود وفيض البحر المورود على كتاب الصلوات المحمدية وتسمى الصلاة الفيضية أو الصلاة الكبرى لابن عربي فقال : «ذكر بروكلمان نسخة واحدة منها» .

وأقول : ذكرها عثمان يحيى (٤٧١/٢) وذكر عدة نسخ منها وشروحها الأخرى ، وأشار إلى اختلاف العناوين التي وردت عند بروكلمان على أنها رسائل مختلفة؛ لأنه اعتمد - وله كل العذر - على فهارس سقيمة.

والغريب أن بعض المفهرسين يظنون أن كتاب بروكلمان حوى كل تراجم العلماء ومصنفاتهم ، فإذا لم يذكر بروكلمان عنوانًا أو أخطأ في تسميته جزموا بفرادة المخطوطة وهذا خطأ محض . فإن ما لم يذكره بروكلمان أكثر بكثير مما ذكره ومع هذا فإنه لم يزل المصدر الأول عند أكثر المخطوطيين لغياب البديل الكامل ، ولم ينفع كتاب سزكين في سد الثغرة بعد لأنه وقف عند سنة ٤٣٠هـ . ولا يظنَّ ظانٌّ أن سزكين بمستطيع إكمال كتابه إلى ما وصل إليه بروكلمان حتى ولو عمِّر ما عمِّر نوح ، وهو بعد أضن من أن يسمح لغيره بإكماله .

المخطوطات في المملكة الأردنية الهاشمية

إن أعداد المخطوطات في الأردن قليل جداً إذا ما قورنت بغيرها في البلدان المجاورة إذ بلغ عددها حسب وصف الواصف إسماعيل عميرة ٦١٩ فقط ؛ أكثرها (٥٠٠ مخطوطة) محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية وهي بعد لم تفهرس . أما مؤسسة آل البيت التي تسمى الآن المجمع الملكي للبحوث والحضارة الإسلامية فلا تملك إلا ٩ (تسع) مخطوطات ، وهي لم تفهرس بعد أيضًا مع أنها نشرت مجلدات من فهارس الفهارس التي احتلت مكانًا مرموقًا في هذا الكتاب . أما [مكتبة] الجامعة الأردنية العريقة ؛ فإن فيها ٧٥ مخطوطة : ٦٢ عربية وواحدة فارسية و ١٢ تركية فقط . وتحتفظ مديرية الوثائق والمكتبات بـ : ١٥ مخطوطة ، وجامعة اليرموك بمخطوطة واحدة إضافة إلى ٢٢ مخطوطة متفرقة محفوظة عند الأفراد . ولعل الطريف في مجموعة مركز الوثائق والمخطوطات أن أغلبها مكتوب بالخط المغربي ما

بين القرن ١١ و ١٢ للهجرة بيد أن الواصف لم يخبرنا عن مصدرها إذ لا مثيل لها في مثل هذا العدد في أية مجموعة خطية في المشرق العربي فهي مهمة جداً للمعنيين من المشارقة بالتراث الإسلامي المغربي .

ومن نوادر المخطوطات الأردنية :

١ - في المجمع الملكي : كتاب محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر لعلي دده (وليس داده) بن مصطفى البوسنوي المعروف بشيخ التربة المتوفى سنة ١٠٠٧هـ ، بتاريخ ١١٥٠هـ ، كتبه على نسق كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي .

٢ - في مركز الوثائق : كتاب بغية الطلاب في شرح منية الحِساب (الصواب : الحُسَّاب بالتشديد) لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي (المولود سنة ٨٤١هـ المتوفى في سنة ٩١٩هـ) وتاريخ نسخها في سنة ٨٥٢هـ . والظاهر أن تاريخ النسخ في هذه النسخة خطأ محض إلا إذا كان المكناسي باقعة الدهر فيؤلف هذا الشرح وعمره ١١ سنة . ومنها ست نسخ في الخزانة الحسنية بالرباط .

٣ - وفيه أيضاً : نسخة من كتاب الأنوار الساطعة (اللامعة) في شرح الجامعة لابن حمدون مؤرخة في سنة ١١٨٣هـ وهي في الحساب - كما يقول الواصف - .

وأقول : لقد ذكر بروكلمان أن الأنوار الساطعة إنما هي شرح على قصيدة : الفريدة الجامعة في نظم العقيدة النافعة لصالح بن صديق بن عبدالرحمن بن عطية النمازي الأنصاري الخزرجي المتوفى في سنة ٩٧٥هـ وأن العقيدة النافعة هي نظم العقيدة العضدية للإيجي ، فأين الحساب ؟ ومع هذا إن كان الأمر كما ذكرنا فهي نسخة نادرة دون أدنى شك . (بروكلمان ٤٠٤/٢ وملحقه ٢٩٢/٢) .

أو إن النسخة هي الأنوار الساطعة في أحكام الجمل الجامعة لمحي الدين عبدالقادر بن محمد الحنفي المعروف بابن المصري المتوفى سنة ٧٧٥هـ ، وهي أيضاً نسخة نادرة (بروكلمان ملحق ١٢٥٣/٣) .

أو لعل النسخة هي كتاب الكوكب الساطع والعقد المنظوم لأبي عبدالله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي المعروف بابن حمدون أو ابن حمَّاد المتوفى سنة ٦٢٨هـ (E.I 2. 111,782) .

٤ - وفيه أيضاً نسخة (الأقسام ٢-٤) من كتاب المعيار لأبي العباس محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد، مؤرخة سنة ١١٣٢- ١١٣٣هـ ، وقال الواصف إنها في الفقه [المعاملات] .

وأقول : إن كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي المتوفى بفاس سنة ٩١٤هـ المشهور في الخافقين لا يحتاج عنوانه إلى توضيح أكثر .

٥ - وفيه أيضاً نسخة من كتاب شرح اللَمعة (والصواب : اللُمعة بضم اللام) في حل الكواكب السيارة السبعة لشمس الدين محمد بن أحمد الخضْري al-Khidri (وليس الخُضَري al-Khudarî) ابن مصطفى الدمياطي المتوفى سنة ١٢٨٨هـ (بروكلمان ١٢٧/٢ وملحقه ١٥٨/٢) (ورد لقبه في مخطوطة رامبور : الخفري) وهو خطأ في القراءة أو النسخ .

ولا أكاد أشك في أن هناك مجاميع أُخَر في الأردن غير هذه امتنع أصحابها عن الإفصاح عنها خوفاً من أمر أو آخر وبخاصة تجار الكتب والمخطوطات . ومع هذا فإن الواصف لم يدخر وسعاً وجهداً في وصفها والتعريف بما هو معروف أو منشور من فهارسها .

المخطوطات في كينيا

قام بوصف المجموعة الخطية الإسلامية في كينيا كل من أحمد شيخ نبهاني ويحيى علي عمر وديفد كولتون سبيرلنج في مسح مشترك استهلوه بمقدمة تاريخية بينوا فيها أن الثقافة الأدبية الإسلامية وصلت متأخرة نسبياً إلى شرق أفريقيا . ولعل كتاب السلوة في أخبار كلوة (لمحي الدين [؟] المولود في سنة ٩٠٤هـ كتبه للسلطان العماني محمد بن الحسين) هو أقدم مصدر عربي له علاقة بشرق أفريقيا بينما قصيدة العيدروسي التي نظمها باللغة السواحلية تعود إلى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م) . وهناك دلائل تشير إلى أن عدد المخطوطات الإسلامية بدأ ينحدر باستمرار منذ بداية القرن العشرين فمثلاً إن كثيراً من المخطوطات العربية والسواحلية (التي نسخت أو صورت والتي أودعت في مكتبة جامعة دار السلام في سنة ١٩٦٠ لتكون جزءاً من مجموعات الجمعية السواحلية لشرق أفريقيا) قد اختفت الآن ولا يعرف لها

أثر. ولم يبق إلا المحفوظ في مكتبة جامعة دار السلام ، وأشار الواصفون إلى فهرس لها هو :

J.W.T. Allen, The Swahili and Arabic manuscripts and tapes in the Library of the Univ. College, Dar es-Salam, Leiden 1970.

وأشار الواصفون إلى عامل آخر في تناقص المخطوطات الإسلامية في كينيا ، وهو أن غالبية هذه المخطوطات تملكها عوائل تتكلم السواحلية أو معاهد وإن هؤلاء لا يعرفون قيمة ما يملكون ولا نوعية هذه المخطوطات التي لديهم وهذا الجهل بها يرجع إلى الانطباع أن المطبوع خير من المخطوط . وقد صدق الواصفون كل الصدق في وصف العلة ، وهذا حديث آخر يثير الأشجان ويبعث في النفس حسرة دفينة ولوعة مشبوبة . وأنهى الواصفون مقدمتهم التاريخية بقولهم : إن هذه المخطوطات السواحلية مهمة لهذا القسم من العالم وهي بعد تمثل جانباً فريداً من التراث الإسلامي .

الغريب أن عدد المخطوطات لا يتجاوز ٢٢٠ مخطوطة بالعربية والسواحلية في كل كينيا عدا القسم الكيني الذي يتكلم الصومالية إذ لم يتسن للواصفين وصف ما فيه لسوء الأوضاع السياسية هناك . وينفرد مسجد الريادة في مدينة لامو : بـ ٧٥ مخطوطة والمتحف فيها بـ : ٢٥ مخطوطة منها ١٥ نسخة من المصحف الشريف ، والشريف علوي حسني جمال الليل فيها أيضًا بـ : ١١ مخطوطة . وفي ممباسا : ١١ مخطوطة عند عبدالرحمن الحاتمي . وفي نيروبي : ٢٣ مخطوطة في مكتبة إسماعيل رحمة الله العامة والبقية موزعة على بعض العلماء والمعاهد.

ولم تفهرس هذه المجموعات بعد .

أما نوادرها العربية فهي :

١ – كتاب مجمع البحرين للشيخ الأمين المزروعي قاضي القضاة في كينيا بخط المؤلف ، في حيازة الشيخ عبدالله محمد شيخ في مدينة مالندي . والسؤال : هل الكتاب من تأليفه أم أنه انتسخه ؟

٢ – كتاب مثلث قطرب وشرح لامية الأفعال لابن مالك ، في حيازة عبدالرحمن الحاتمي في مدينة ممباسا .

٣ – تاريخ المزارعة وتاريخ ممباسا في حيازة الشريف عبدالرحمن علوي السقاف في ممباسا . (عن تاريخ المزارعة ، انظر المقال التحليلي الذي كتبه إبراهيم الزين صغيرون في مجلة عالم الكتب ٢/٦ : ١٩٠ – ٢١٨).

وفي المجموعة الكينية أعداد من نسخ القصيدة الوترية المشهورة ومن شروح محمد بن عبدالعزيز الوراق اللخمي القرطبي التي تسمى عندهم «تبارك» .

المخطوطات في الكويت

قصة المخطوطات الإسلامية في الكويت قصة محزنة لكل معني بها ، وهي بارزة الملامح متجهمة الأسارير دامية النبرات في تقرير السيدة الفاضلة إلهام المفتي ، وهي بعد من أعجب العجائب في امتهان التراث وإذلاله واستباحة حرماته في الوقت الذي بذل السادة الأجلاء أموالاً طائلة في جمعه وصونه ورعايته . ولولا هذا الحب الدافق له والحرص العميق عليه لما عنوا به وتطلبوه ولعلهم سيتطلبونه في المزادات التي اقتنوه منها ولهم منا الشكر والعرفان . وفي التاريخ عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد ؛ فقد عانى تراثنا المسكين نكبة إثر نكبة وامتهانًا إثر امتهان في سمرقند ونيسابور وبلخ وبغداد وغرناطة والجزائر ومصر وأندونيسيا والبوسنة والهرسك وأفغانستان وفي غيرها . ففي كل بلد من هذه البلدان قصص تدمي القلوب وتبعث في النفوس الحسرة والألم ؛ وهو مع كل هذا لم يزل رغم كل النكبات يملأ الدنيا بهاءً ومتعة لمحبيه، لأنه إنساني الرسالة قبل أن يكون إسلامياً ، فلا نامت أعين شانئيه .

فبالرغم من صغر الكويت في مساحته وسكانه فإن فيه ثروة رائعة من نفائس التراث الإسلامي جمعها أفراد دفعهم حبه إليه فحبّسوه ووقفوه على من يود دراسته أو تحقيقه منهم الشيخ محمد الصالح آل إبراهيم الذي هيأ لمجموعته : ٦٦٢ مخطوطة ؛ ٦٢٣ عربية و ١١ تركية و ٥ فارسية وغيرها مكانًا يليق بها وبه ، ولم يمنعها عن الباحثين ولم يضن بها على المهتمين وهذا شأن العلماء العاملين . وذكرت الواصفة الفاضلة بعض نوادرها المهمة وهي :

١ – شرح السراجية في الفرائض لشمس الدين بن العلاء محمد النجار الكلاباذي الحنفي ، بخط الشارح ومؤرخة في ٦٧٦هـ مع شروح واسعة في الحواشي .

وأقول : إن كتاب الفرائض السراجية هو لسراج الدين أبي طاهر محمد بن محمد بن عبدالرشيد

السجاوندي المتوفى في حدود سنة ٦٠٠هـ ، أما شرحها فهو ضوء السراج لمحمود بن أبي بكر الكلاباذي البخاري المتوفى سنة ٧٠٠هـ وقد أكمل شرحه فعلاً في سنة ٦٧٦هـ كما جاء في النسخة .

٢ - عنوان الشرف الوافي ... انظر : ما قلناه عنه في مخطوطات الهند في أعلاه .

وطارق رجب الذي أنشأ لمجموعته الخطية متحفًا عامًا لاهتمامه العميق بالخط العربي بصوره الفنية المختلفة، ولذلك كان اهتمامه منصباً على الروائع الخطية مثل المصاحف الشريفة التي منها - حسب ما أخبرت الواصفة - ورقة مصحف مكتوبة بالخط [الكوفي الحجازي] المائل الذي يعود إلى القرن الثاني للهجرة ؛ ونسخة من كتاب العدسات الحارقة لابن الكندي .

وأقول : إن موضوع العدسات (أو المرايا) الحارقة ألصق بالحسن بن الهيثم المتوفى سنة ٤٣٢هـ منه بالكندي. ولابن الهيثم أكثر من رسالة في هذا الشأن طُبع بعضُها في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٧هـ . (انظر : الموسوعة الإسلامية ٣/٩-٧٨٨) .

وخالد سعود الزيد ٣٠١ مخطوطة : ٢٦٣ عربية و ٩ فارسية و٢٧ تركية و ٢ (عربية - تركية) . وذكرت الواصفة الفاضلة أن المجموعة بكاملها سرقت أثناء الاحتلال العراقي للكويت . وهذه فاجعة كبرى حلّت بالمخطوطيين والباحثين قبل أن تكون فاجعة خالد بن سعود الزيد الذي دفعه حبه لهذا التراث فرعاه وحرص على صيانته ولم شعثه بيد أن هذه الرعاية صارت مغنمًا لغيره .

إضافة إلى الأفراد فإن في الكويت أيضًا بعض المؤسسات التي رعاها أفراد مثل دار الآثار الإسلامية التي ألحقت بالمتحف الوطني إذ كان للاهتمام الجم الذي أولته حصة الصباح للتراث أنها جمعت نفائس الآثار الإسلامية بما في ذلك المخطوطات التي عُرضت في بلدان عديدة للتعريف بالحضارة الإسلامية . وقد كان آخرها المعرض الجميل لبعض مقتنيات المتحف الوطني التي عُرضت في المتحف البلدي في لاهاي - هولندا ما بين ١٣ يونيه و ١٧ أكتوبر من هذا العام ، ونشر المتحف دليلاً لبعض المعروضات اعتماداً على الدليل المنشور في نيويورك سنة ١٩٩٠ والذي سبق أن نشرته مجلة ANTIEK الهولندية في عددها الأول (يونيو سنة ١٩٩٣) وهو :

Kunstschatten uit Koeweit, 1000 jaar islamitische Kunst en mecenaat, Haags Gemeentrmuseum, overdruk uit Antiek, juni 1993 .

وتحتفظ جامعة الكويت بعدد جيد من مُختار المخطوطات : ١١٠٥ مخطوطة ، منها ١٠٧٨ مخطوطة عربية و ١٥ فارسية و ١٠ تركية و ٢ أردو . وذكرت الواصفة أن مفهرس المجموعة قال لها إن أنفس ما في المجموعة مخطوطة : التقريب في شرح الترغيب والترهيب لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المنذري المتوفى سنة ٨٦٢هـ ، وهي مؤرخة في سنة ٨٥١هـ ومنسوخة أثناء حياة المؤلف . وأضاف المفهرس : «وفي مقدمة المخطوطة قال الشارح إنه قرأ كتابه في علم الحديث على المؤلف» (١٦٧/٢) .

أقول : في هذا القول أمور غريبة . فإن المعروف أن كتاب الترغيب والترهيب هو لزكي الدين أبي محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ . وقد شرحه :

١ - حسن بن علي الفيومي المتوفى سنة ٨٧٠هـ ، بعنوان: فتح القريب المجيب بشرح الترغيب والترهيب وكان قد انتهى من تأليفه في ربيع الأول سنة ٨٥٩هـ ومنه نسختان في جامع القرويين بفاس ، واحدة منها بخط الشارح . (فهرس مخطوطات خزانة القرويين ٢١٦/١؛ ١٢١/٣) .

٢ - سالم المرتضى بن عبدالله بن غنيمة الواسطي الحويري (ربما الحويزي) السعدي بعنوان التقريب المنتزع من [فتح القريب] (بروكلمان ٣٦٧/١ وملحق ٦٢٧/١) . وأشار بروكلمان إلى نسخة منه في المتحف البريطاني برقم : ١٥٩٤ .

٣ - فإذا كان مؤلف الشرح قرأ الحديث على مؤلف الترغيب والترهيب فهذا يعني أنه من تلاميذ المنذري ، فإذا أسقطنا لقب المنذري منه فهو لابد أن يكون أبا عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الموصلي الأصل الدمشقي الشافعي أحد تلاميذ المنذري والذي يظهر اسمه في سماعات كتاب التكملة لوفيات النقلة للمنذري ، والذي لم يستطع محقق التكملة بشّار عوّاد العثور على ترجمة له (٢٥/١ - ٢٧) .

٤ – واختصر محمد بن عمَّار المالكي المتوفى سنة ٨٤٤هـ كتاب الفيومي بعنوان التيسير والتقريب ومنه نسخة في باريس برقم : ٧٤٢ .

من كل هذا نفهم أن النسخة لم تكتب في حياة المنذري إلا إذا كان الموصلي مؤلف الشرح . فلعله أحد هذه الشروح المذكورة أو إنه شرح آخر .

ثم هناك المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الذي كان يحتفظ بـ : ١٦٠٠ مخطوطة لم يسلم منها إلا ٦٠٠ مخطوطة فقط بل إن ١٥٠ مخطوطة منها أصابها الماء فعفَّى عليها ، وهذا خسران مبين لا عوض له ولا إرجاع لفقده وعزاؤنا أن من سلبه قد يحافظ عليه أو يعيده إلى مستقره وإلا ضاع ما بين حانة ومانة .

ثم هناك مركز المخطوطات والتراث والوثائق التابع لـ: جمعية إحياء التراث الإسلامي ، يحتفظ بـ : ٢٥٠ مخطوطة عربية .

ثم هناك مكتبة الموسوعة الفقهية التي تحتفظ بـ ٦٨٢ مخطوطة وصلت أغلبها إلى المكتبة بطريق الإهداء والتبرع من العلماء والصلحاء .

وبعد : فقد روت الواصفة الفاضلة قصة المخطوطات الإسلامية في الكويت ببراعة ويسر بيد أن هذه البراعة وهذا اليسر لم يخلوا من غصص العارفين بقيمة هذا التراث المنكود الذي ابتلي بأهله قبل غيرهم ؛ فأحسنت وأجادت في الوصف وفي سرد ما نشر من الفهارس ، وما لم ينشر فنقلتنا من صميم الهمِّ إلى غمرات الأسى فصح عليها قول الشاعر المتألم :

تَحِنُّ فَتُبدي ما بها من صَبَابَةٍ
وأُخْفي الذي لولا الأسى لقضاني

المخطوطات في ليتوانيا

ليتوانيا هي إحدى جمهوريات البلطيق التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي المندثر ، روى قصة المخطوطات الإسلامية فيها هادي شريفي الذي وصف مجاميع إيران وقبرص ومالطة . والعجيب أن قصتها التي رواها الواصف لا تكاد تختلف عن قصص المستعمرين الذين حاولوا طمس هوية ثقافات الأمم التي استعمروها . فقد رزحت ليتوانيا زمنًا طويلاً تحت الحكم الشيوعي البغيض فأُغلق المسجد الصغير الوحيد في العاصمة فلنيوس ونقلت مخطوطاته إلى المتحف . وبالرغم من قلة المجموعة التي أكثرها مصاحف وبالرغم من الصعوبات التي جابهها الواصف فإنه استطاع أن يصف لنا ما وجده هنا وهناك ، فعرفنا منه أن المسلمين هناك من أصول مختلفة ، وأنهم لم يهجروا الحرف العربي كماهجره الأتراك فكتبوا به شروحهم على القرآن الكريم وكتب أدعيتهم بلغتهم ، وبهذا يستحق الواصف منا كل ثناء.

المخطوطات في مدغشقر

وصف حامد أو حميد حجي الوضع المزري للمخطوطات الإسلامية في جزيرة مدغشقر حيث شاع استعمال الحرف العربي بين قبيلة انتيامورو في جنوب شرق الجزيرة . ولما بدأ الاستعمار الفرنسي للجزيرة بدأ الهاوون بما فيهم السياح الأوربيون والموظفون في الإدارة الاستعمارية والمنصرون بشراء أو نهب أو مصادرة المخطوطات بجمعها ونقلها إلى أوربا ، ولهذا فإن أكثر المخطوطات المدغشقرية المكتوبة بحروف عربية لا توجد في مدغشقر بل في فرنسا والنرويج وإنجلترا . وكل ما استطاع الواصف إحصاءه لا يبلغ أكثر من ٦٥ مخطوطة، بعضها مصورات من الأصول الموجودة في النرويج وهي موزعة ما بين الأكاديمية الملاغاسية في تانريف والجامعة التي اقتنت مجموعة أحد الموظفين الاستعماريين الفرنسيين في سنة ١٩٦٣م . ولعل أهم ما في وصف الواصف هو المقدمة التاريخية التي لا أكاد أشك في أن جفري روبر قد كتبها لشيوع الروح الاستشراقية فيها .

المخطوطات في مقدونيا

وصف فهارسها محمد زدرالوفج ، فذكر أن أكبر مجموعة خطية إسلامية محفوظة في مكتبة الجامعة الوطنية في سكوبيا وعددها : حوالي ٤٥٠٠ مخطوطة ، منها حوالي ٣٨٠٠ مخطوطة عربية و ٢٠٠ فارسية و ٥٠٠ تركية إضافة إلى ٨٠ مخطوطة عربية وتركية في معهد الآثار والمتاحف في أوهرد وحوالي ٥٠ مخطوطة عربية وفارسية وتركية في الأرشيف التاريخي و ٣٣٢ مخطوطة في مكتبة عيسى بك الملحقة بمدرسته في سكوبيا أيضًا . وذكر الواصف أن أغلب هذه المجموعات لم تفهرس بعد فهرسة شاملة بالرغم من أن بعض المهتمين ذكر بعض محتوياتها في بحوثهم .

المخطوطات في ملاوي

وصف أوغسطين مسسكا المجاميع الإسلامية في ملاوي وتتبع مقتنيها وأعاد الشكوى التي نعرف شنشنتها من أخزم قبله في امتناع بعض الناس ممن لديه مجموعة من المخطوطات عن التعاون معه أو حتى عن الإفصاح عن ملكيتهم لها . ومع هذا فقد استطاع الواصف أن يتجول في المدن والقرى الملاوية ويحصر المخطوطات الإسلامية التي بلغت أكثر من ١٤٧٥ مخطوطة موزعة بالدرجة الأولى بين العلماء المسلمين من أئمة المساجد أو طلاب العلم الذين درسوا في كينيا أو زنجبار أو المدينة المنورة . ولعل مجموعة مولانا أدم في مدينة زومبا التي تبلغ ٣٠٠ مخطوطة هي أكبر المجاميع في ملاوي وتليها مجموعة عبدالعزيز امباركو ١٦٥ مخطوطة في مدينة انخوتا كوتا ثم مجموعة الشيخ سليماوا يوسفو عليا ١٤٧ مخطوطة ثم مجموعة الشيخ فلجالا أحمدو الذي يدرس الآن في الجامعة الإسلامية ١٢١ مخطوطة . وتغلب كتب الفقه والحديث والتفسير والسيرة النبوية الشريفة والتوحيد والتاريخ على الموضوعات الأخرى ؛ بل إن الظاهرة البارزة في مخطوطات ملاوي هي غياب كتب التصوف والسحر والتعاويذ بكل صورها مما يدل على عدم اهتمام المسلمين في ملاوي بهذا النوع من الخرافات الدخيلة .

وغالب هذه المجاميع لم يفهرس بعد بل إن بعضها في حالة تنذر بتلاشيها السريع .

المخطوطات في مالي

وصف بابا يونس محمد المجموعات الإسلامية في مالي . والمعروف تاريخياً أنه كان لمالي علاقات سياسية وثقافية وروحية وثيقة بالمغرب فبرز منهم علماء أجلاء درسوا في المغرب ، منهم أحمد بابا التنبكتي (المتوفى سنة ١٠٣٦هـ) مصنف نيل الابتهاج في الذيل على الديباج وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج الذي ذكر فيه جملة من هؤلاء العلماء ، وهما ذيلان على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن فرحون المتوفى سنة ٧٩٩هـ . وهو في تراجم علماء المذهب المالكي .

المخطوطات الإسلامية في مالي - كما هي في ساحل العاج وملاوي وغيرها من الدول الأفريقية - يمتلكها ويحرص عليها العلماء من المسلمين وأئمة المساجد والمعاهد الدينية الإسلامية أو المدارس الملحقة بالمساجد إلا مركز أحمد بابا التنبكتي في تنبكتو فهي مكتبة عامة تمتلك الآن ٢١٧٤ مخطوطة عربية ، ويليها مجموعة الشيخ حبيب ابن لنتوني ٨٠٠ مخطوطة عربية في مدينة كواتيالا ، ثم مجموعة الشيخ سعد توري ٧٠٥ مخطوطات في مدينة سيجو ومجموعة الشيخ عبدالله ماهي (أو ماحي) ٤٤٦ مخطوطة عربية ثم مجموعة الشيخ محمد محمود البكي (أو البكاي) ٣٢٩ مخطوطة عربية في مدينة كايس والمجموعات الأخر موزعة بين الأفراد والمدارس . وفي هذه المجاميع نوادر كثيرة لمؤلفين محليين مثل :

١ - الدرر السلكية على القواعد الفرضية لعلي ولد يحيى الخزري ، في مجموعة عبدالقادر علي (المسجد الجامع) بمدينة سان .

٢ - الدرر المنظومة في تدمير الدنيا المقبِّحة ليوسف بن سعيد الفولاني ، في مجموعة الشيخ ألفا أحمد كونتي في مدينة نيورو .

٣ - الجرعة الصافية والنفحة الكافية لمختار الكونتي، في مجموعة الشيخ عبدالله ماهي أو (ماحي) في مدينة سيجو .

٤ - تذكرة الغافلين عن اختلاف المسلمين لعمر بن سعيد الفوتي ، في مجموعة الشيخ سعد توري في مدينة سيجو أيضاً .

٥ - تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأخبار الناس لمحمود بن المتوكل الكعتي الوكعري التنبكتي، في مركز أحمد بابا في تنبكتو . وقد نشره المستشرق الفرنسي هوداس بباريس سنة ١٩١٣م .

المخطوطات في المغرب

ليس هناك أحد من بين المشتغلين بالمخطوطات الإسلامية يستطيع الاستغناء عن ثروة المغرب النفيسة ؛ دارساً كان أو محققاً ، فقد كانت المغرب ، ولم تزل ، محط أفئدة المخطوطيين المشارقة إذا أعياهم العثور على فريدة من الفرائد أو خريدة من الخرائد فيما حولهم من المظان ودور الكتب . وقصة العثور على كتاب البرصان والعرجان والعميان للجاحظ في بلدة بزو المغربية واحدة من جملة من

القصص . وبالرغم من سطوة المستعمرين ونهب الناهبين (انظر : ما قاله محمد إبراهيم الكتاني في : المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي ، الدار البيضاء ١٩٩٠ ؛ صفحة ١٤) فما زال في المغرب والجزائر وموريتانيا تراث جم لم يزح عنه الستار بعد بالرغم مما تعرضت إليه المكتبات من نهب وسلب وإحراق وإجبار الناس على تسليم ما لديهم من المخطوطات للمستعمرين الفرنسيين أو الأسبان ، ومن ثم نقلها إلى الخارج لتستقر في الدور الوطنية (انظر ما قاله محمود بوعياد في الكتاب السابق ، صفحة ١٨٤) . ومع هذا فإن الوصول إلى المخطوطات في مكتبات المغرب ليس سهلاً ميسوراً إذ يحتاج الباحث إلى رخصة خاصة من وزير الشئون الثقافية تضيّع عليه وقتًا وجهداً إذا كان زائراً إلا أن بعض المسئولين في هذه المكتبات لا يضنون بالمساعدة في حدود الظروف المتاحة لهم مثل المكتبة الملكية الحسنية في الرباط ومكتبة القرويين في فاس ومكتبة محمد المنوني - حفظه الله ومدَّ في عمره - في الرباط . فإن محمد المنوني يذكرنا بالعلماء الأوائل الأفذاذ الذين تعلموا العلم فعملوا به وعلموه ونشروه . فهو بقية السلف الصالح أدبًا وعلمًا وفضلاً وتواضعاً وإفادة .

وصف الواصف المصطفى بن عبدالله بوشوك فهارس المكتبات في المغرب المنشورة وغير المنشورة إلا أنه أغفل فيما أغفل ما نشره محمد بن عبدالعزيز الدباغ عن المخطوطات العربية ونوادرها في جامع القرويين والتي ذكر بعضاً منها في بحثه خزانة القرويين ودورها الإيجابي في حفظ التراث المخطوط المنشور في كتاب المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي - وضعية المجموعات وآفاق البحث (الدار البيضاء ١٩٩٠ ، ٤٩ - ٧٦) فقد وصف فيه اثنتين وعشرين مخطوطة نادرة من مخطوطات القرويين . ولو قرأ الواصف بحث الدباغ - ولا أظنه فعل - لرأى أن الدباغ قد انتهى من بطاقات «ما يتعلق بالقرآن الكريم والحديث والفقه والأصول والتصوف والسيرة وما زال يواصل العمل لإتمام ما بقي» وكان المفروض أن يدخل هذا في باب الفهارس غير المنشورة . بل إن الواصف تجاهل كل المقالات النفيسة التي وصف فيها مؤلفوها جملة من المكتبات والخزائن في المغرب في هذا الكتاب إضافة إلى ما نشرته عن مخطوطة مناقل الدرر ومنابت الزهر لابن رأس غنمة المحفوظة نسخها في الخزانة الحسنية (مجلة عالم الكتب ١٢/١ ، ١٩٩١ ، ٢٥ - ٢٩) . ومع هذا فقد أدرج الواصف ما توافر لديه من معلومات هائلة عن المكتبات وفهارسها ، فبدأ بمكتبة قصبة تنوغلت العامة في أغدز التي حوت ٥٣ مخطوطة عربية فذكر منها :

١ - تفسير الرؤية لابن سيرين ، والصواب أن عنوانه : تعبير الرؤيا وهو كتاب منحول قطعًا ، وقد طبع مراراً . ومثله منتخب الكلام في تفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين المتوفى سنة ١١٠هـ وهو منهما براء . فلعله كتاب الإشارة إلى علم العبارة لمحمد بن أحمد السالمي المتوفى سنة ٨٠٠هـ كما جاء في كشف الظنون أو أنه أحد المنحولات الدخيلة التي تبرز في النكبات والطامات التي تحل بالأمة أمثال ملحمة دانيال .

٢ - مختصر فضائل القرآن للوادي آشي ، ولم يزد .

٣ - تقييد على حديث من كذَبَ (والصواب : كَذَبَ) عليَّ متعمداً [فليتبوأ مقعده من النار] للحسن بن محمد ، ولم يزد .

وذكر محتويات مكتبة مدينة بزو القريبة من مدينة دمنت ٧٠ مخطوطة عربية وذكر بعض نوادرها التي منها نسخة من كتاب المُجْتَمع في شرح المُقْنَع لمحمد بن سعيد السوسي . والصواب : المُمْتِع في شرح المُقْنع لمحمد بن سعيد السوسي المرغثي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ (فهرس الخزانة الحسنية ١٦٩/٣ و ١٩٨/٤ وبروكلمان ٤٦٣/٢ وملحقه ٧٠٧/٢ حيث سماه : المرغيثي) .

والغريب أنه أغفل ذكر مجموعة جامع بزو المحبسة التي وجد فيها كتاب الجاحظ الفريد : البرصان والعرجان والعميان والحولان ضمن مجموعة حوت أيضًا من كتب الجاحظ كتاب الوكلاء وكتاب الصوالجة .

ثم انتقل إلى وصف فهارس مكتبة القرويين العريقة بفاس فذكر أنها تحتوي على ٢٠٢٠ مخطوطة عربية ، وأضاف :

"There are collections of papers (with numerous gaps and omissions) which still need to be collected, arranged, sorted and catalogued" .

ماذا يفهم القارئ المخطوطي وغير المخطوطي من هذا النص الذي معناه : «وتوجد مجموعة من الأوراق (أو الجرائد) (بفجوات ومحذوفات كثيرة) لم تزل محتاجة لأن

تجمع وتنظم وتفرز وتفهرس» . فإن هذه اللغة ليست لغة عارف بالاصطلاحات التي تعارف عليها المخطوطيون . ولولا الدباغ لما أدركنا أن الواصف يريد : أن خزانة القرويين تحتفظ أيضًا بقطع كثيرة من المخطوطات وأوراق مفروطة وهي بلغة العارفين (loose folios and fragments) والتي سماها الدباغ بـ «الخروم» وقسمها إلى ما يعرف بالخروم الجديدة وبخروم القبة السعدية ، وقد استخرج الدباغ نحو ٧٠٠ قطعة ناقصة من هذه الخروم . وقال إنه استطاع التعرف على بعض هذه المخطوطات فذكرها بعناوينها وأسماء مؤلفيها . وذكر الواصف الفاضل ثلاثة من نوادر الخزانة القروية هي :

١ – الباب في علم الكتاب لابن عادل أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحسني الدمشقي ، في ثمانية أجزاء .

٢ – كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ ومغازي الثلاثة الخلفاء للكلاعي أبي الربيع سليمان ابن موسى المتوفى سنة ٦٣٤هـ . بجزأين .

٣ – تأويل الأنوار في الفقه للقاضي البرهان عبيد الله بن محمد العبيدلي الشريف الفرغاني ، قاضي تبريز المتوفى سنة ٧٤٣هـ .

وأقول : إن الكتاب الأول هو اللباب في علوم الكتاب (وليس الباب) ، وهو كتاب في التفسير لعمر بن عادل الدمشقي الحنبلي النعماني ، وكان قد فرغ من تأليف هذا التفسير سنة ٨٧٩هـ ومنه نسخة في برنستون ، واثنتان في أيا صوفيا ، واثنتان في دار الكتب المصرية ، وقطعة منه في الأسكوريال ، ونسخ أخر ذكرها بروكلمان . أما الموجود في الخزانة القروية فهو خمسة أجزاء كما قال العابد الفاسي (١/٦٤) وليس ثمانية ، وهاك قول الفاسي : «وقد علمنا من وثيقة الحبس أنه في أسفار ٨ فينقصه الآن أجزاء ٣ : الأول والثاني ثم الثالث» . (انظر عنه : كحالة ٧/٣٠٠ وبروكلمان ٢/١١٤ وملحقه ٢/١٤٠) .

أما كتاب تأويل الأنوار فهو شرح طوالع الأنوار من مطالع الأنظار للبيضاوي المتوفى سنة ٧١٦هـ في علم الكلام كما قال العابد الفاسي – رحمه الله – (٣/٣٤٤) ومن هذا الشرح نسخة في مكتبة جامعة ليدن بخط الشارح مؤرخة في سنة ٧١٨هـ برقم : ٢٥٨٦ . Or ومنه نسخ عديدة ذكرها بروكلمان (١/٤١٨ وملحقه ١/٧٤٢) .

أما كتاب الاكتفاء المشهور للكلاعي فهو كتاب الاكتفا (بدون همزة هنا وفي الخلفا) وفي خزانة القرويين أكثر من جزأين ، إذ هناك نسخة بجزأين (رقم : ٢٨٠ من فهرس العابد الفاسي) وأخرى في أربعة أجزاء (رقم : ٢٨١) وأخرى بجزأين (رقم : ٢٨٢) وأخرى بجزء واحد (رقم : ٧٣٥) وأخرى بجزأين (رقم : ٧٧٥) وأخرى بجزء واحد (رقم : ٧٧٦) وأخرى بثلاثة أجزاء (رقم : ١٠٩٢) وأخرى بجزء واحد (رقم : ١٤٢٧) .

وهذه النماذج التي رؤي أنها من النوادر ليست من نوادر مكتبة القرويين إطلاقًا وإن كانت من النسخ الحسنة. وقد رأيت نسخة سير أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفزاري (المتوفى سنة ١٨٦هـ) المؤرخة في سنة ٢٧٠هـ والمكتوبة على الرق والورق ؛ تفضل الدباغ فسمح لي برؤيتها أثناء زيارتي للمكتبة في شهر شعبان من سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٨) فعجبت من خطها وقدمها وندرتها .

فمن نوادر المكتبة :

١ – محاذي الموطأ لأبي عبدالله محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، نسختان ١٨١ و ١٤٤٩ .

٢ – مختصر أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري (المتوفى سنة ٢٤٢هـ) ، ٨٧٤/٨٠ ، وقع الفراغ من نسخها سنة ٣٥٩ بمدينة قرطبة .

٣ – سيرة ابن إسحق المطلبي (المتوفى سنة ١٥١هـ) ، ١٠٧٧ والتي تحتوي على سماعات ؛ أقدمها سنة ٤٥٦هـ وآخرها سنة ٥٠٦هـ ، وقد نشرها محمد حميدالله في الرباط سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م مع النسخة الدمشقية .

٤ – نسخة من الإنجيل ترجع إلى القرن الخامس للهجرة ، برقم : ٧٣٠ .

٥ – البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (المتوفى سنة ٥٢٠هـ)، مؤرخة في سنة ٧٢٠هـ.

ثم هناك نسخ نفيسة من كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي ، والألفاظ في اللغة لابن السكيت ، ومختصر كتاب العين للزبيدي ، والمستعيني في الطب لابن بكلارش المتوفى سنة ٥٠٠هـ ، والأرجوزة الطبية لابن الطفيل .

أما فهارس عابد الفاسي التي تدل على علم واسع وتحرٍّ دقيق وسعة في التدقيق ؛ فإنها لم تحظ بعد بفهارس تفتح المغلق من كنوزها بالرغم من محاولة ولد المؤلف في

إلحاق فهرس بأسماء المؤلفين بها إلا أن هذا الفهرس لا ينفع الباحث كثيراً لاضطرابه ونقصه المؤلم .

أما ما يتعلق بخزانة ابن يوسف في مراكش التي احتوت على ٧٣٢ مخطوطة عربية واثنتين بربرية ، فقد استوعب الواصف دقائق المعلومات عنها ونقلها للقارئ بوضوح وحسن أداء إلا أنه سرد ما ظنه من النوادر فيها ، وهي ليست كذلك آخذاً بالظن أن كل ما ازداد طلب القراء عليه فهو من النوادر ، وهذا مفهوم غريب . ثم إنه لم يذكر ما أعلنه محافظ المكتبة الصديق بلعربي في بحثه الذي ألقاه في مؤسسة الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م «فتم الآن وضع فهرس جديد بلغت جذاذاته نحو الألفين» ، فهو يدخل في باب ما لم ينشر من الفهارس .

ثم وصف لنا فهارس مكتبة الجامع الكبير بمكناس التي حوت ٦٠٧ مخطوطات عربية وقال إن بعضها قد أثر عليها أو فيها البرد (cold) [؟] وأردف ذلك بقوله : «إن قسماً مهماً من هذه المجموعة يتناول الملوك السعديين والعلويين وأن بعضها يحمل توقيعاتهم» ، وهذا قول مبهم في شقة الأول وصحيح في شقة الآخر ، إذ لم يذكر الصديق بلعربي أية معلومات عن تواريخ تتناول حكم السعديين أو العلويين ، وكل ما ذكره أن بعض الملوك السعديين والعلويين وجهوا العناية لهذه الخزانة ، حيث أوقفوا عليها عدة كتب وحبسوها لطلاب العلم . وذكر الواصف مخطوطتين من مخطوطات الخزانة المهمة ، وهما :

١ - جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر لمحمد بن إبراهيم بن خليل التتائي ، بقسمين .

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، بقسمين.

بيد أن الواصف الفاضل لم يعلل سبب أهمية هاتين المخطوطتين ؟ وكنا نود أن قد فعل . ومع هذا فإن النوادر في الخزانة غير ما ذكر ، مثل :

١ - البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر لأبي عبدالله محمد بن عبدالوهاب بن عثمان المكناسي المتوفى سنة ١٢١٣هـ ، برقم : ٥٠٣.

٢ - الجمهرة في اللغة لابن دريد ، «عورض به نسخة مقروءة سمعتها من أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد سنة سبع عشرة وثلاثمائة» ، برقم : ٥ .

٣ - نفائس الأصول من شرح المحصول للرازي لأحمد بن إدريس القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤هـ ومؤرخة في سنة ٦٨٥هـ ومثلها أيضاً تنقيح الفصول في الأصول للقرافي أيضاً ، وشرح على تنقيح القرافي لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الفاسي ومؤرخة في سنة ٧٤٣هـ .

٤ - الإجماع والاختلاف لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٣١٩هـ ، برقم : ٥١٠ .

٥ - كتاب النكت في شرح البخاري لتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ ، برقم : ١٥٤ .

أما خزانة المسجد الكبير في وزّان فقد وصف بعض محتوياتها الشيخ محمد المنوني (دعوة الحق ، ١٩٨٧، ٢٨ - ٣٢) وهي تحتوي على ١٢٤٨ مخطوطة بما فيها المطبوع على الحجر، وذكر الواصف بعض مخطوطاتها المهمة، وهي:

١ - أرجوزة في طريقة العمل بقوس ملة الإسلام لمحمد بن المفضل بن كيران الفاسي .

٢ - الكتيبة الكامنة [فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المئة الثامنة] (بتصغير لفظ الكتيبة كما جاء عند الواصف) للسان الدين ابن الخطيب .

٣ - ذخيرة المحتاج [في الصلاة على صاحب اللواء والتاج] للشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي .

واستعرض الواصف الفاضل أيضاً فهارس الخزائن في الرباط فبدأ بمكتبة باب شالة التي حوت ١٠ مخطوطات كان كتاب فيض الفتاح على نور الأقحاح لعبدالله بن حاجي إبراهيم العلوي الشنقيطي ، من المخطوطات المهمة فيها .

وأقول : إن عنوان الكتاب الصحيح هو : فيض الفتاح على نَوْر الأقاح (Nawr al-Agah) وليس نُور الأقحاح كما ورد في وصف الواصف . ثم إنه شرح للمؤلف على قصيدته نور الأقاح في علم البيان (كحالة ١٧/٦ وبروكلمان ملحق ٨٧٣/٢) .

وذكر أيضاً مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية التي احتوت على ٥٠٨ مخطوطات ، منها ٥٠٠ عربية و ٤ بربرية وواحدة فارسية وواحدة سواحلية ، وأفادنا معلومات حسنة عن تاريخ جمع مخطوطاتها وفهارسها التي نظمتها المؤرخة المعروفة حليمة فرحات ، وذكر من مخطوطاتها المهمة :

١ - فتح الحي القيوم بشرح روضة الفهوم في نظم نقاية العلوم لشهاب الدين أحمد بن أحمد السنباطي .

٢ – منتخب من غريب كلام العرب لمؤلف غير معروف ، ويعتقد أنه لكراع النمل الأندلسي .

٣ – الهداية المقبولة في حلال الطب المشمولة لأبي العباس أحمد بن صالح الدرعي .

وأقول : إن عنوان الكتاب الثالث الصحيح هو : الدرر المحمولة على الهدية المقبولة في حُلَل الطب مشمولة كما جاء عند بروكلمان (ملحق ٧١٣/٢ بتغيير مشمولة إلى معمولة) وفي فهرس الخزانة الحسنية (١٠٠/٢ – ١٠٢ و ١٨٠/٤) وهي شرح على منظومته في الطب الهدية المقبولة في حُلَل الطب مشمولة . وأوردها الصواف أيضًا في وصف مخطوطات مكتبة الإمام علي بمدينة ترودنت بصورتها الخاطئة (hilal) (٣٣٦/٢) .

ثم وصف لنا محتويات الخزانة الحسنية ووصف فهارسها وصفًا شافيًا كافيًا (إلا أنه أخطأ في قوله عن الجزء الرابع إنه في وصف مخطوطات الأدب .. والصواب: آداب البحث) وقال إنها تحتوي على ٦ آلاف مخطوطة عربية تكون كلها ٢٠ ألف مجلد . وهو عدد من المخطوطات لا يوازيه في المغرب إلا ما في الخزانة العامة بالرباط التي حوت ١١٠٨٧ مخطوطة ، منها : ١١٠٦١ مخطوطة عربية و ٢٠ بربرية و ٦ فارسية . وقال في معرض وصفه للمخطوطات المزوقة النفيسة كالمصاحف وغيرها إن هناك نسخة من كتاب كليلة ودمنة منسوخة بخط شرقي [والصواب : مشرقي] في أثناء حكم أبي جعفر المنصور . وقد سبق أن علقنا على هذا القول في أعلاه . ونأمل صدقًا أن يكون الأمر كما صرح به الواصف .

ثم ذكر الواصف بعض نوادرها ، وهي :

١ – نسخة من المصحف الشريف نسخت سنة ٩٨٤هـ بخط مغربي حسن ، نسخها مبارك بن عبدالكريم ابن داود .

٢ – كتاب الشهاب من حديث رسول الله ﷺ في الحُكْم والمواعظ والوصايا والأدب للقاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤هـ ، برقم : ١٨١٠ .

٣ – كتاب التيسير في المداواة والتدبير لأبي العلاء زُهْر بن عبدالملك بن زُهْر الإشبيلي المتوفى سنة ٥٢٥هـ ، ويعتقد أنه يعود في تاريخه إلى عهد السعديين ، برقم: ١٥٣٨/٢ .

أقول : لا ندري ما المقياس الذي اتبعه الواصف في هذا الاختيار ؟ والخزانة الحسنية تعج بالفرائد والنوادر .

فإن الكتاب أولاً ليس لأبي العلاء زهر بن عبدالملك ، وإنما لولده أبي مروان عبدالملك المتوفى سنة ٥٥٧هـ (بروكلمان ٤٦٧/١ وملحقه ٨٩٠/١) ، ومن ثم فإنَّ الخطابي لم يقل إنها نسخة لا ثانية لها ، أو إنها تحفة فنية مثلاً ، ثم إن رقم الحفظ كما ذكره الخطابي هو ١٥٣٨ (مجموع) وليس كما ذكر الواصف ، وأشار إلى الصفحات في مجلدين يحويان مؤلفات آل زهر (فهارس الخزانة الحسنية ٨٨/٢) . أما اسم المؤلف فهو Zuhr وهذا ما ورد واضحًا جليًا في الصورتين اللتين نشرهما العربي الخطابي في أول صفحات فهرسه (الصفحات ١٦ و ١٨) وليس Zahr كما جاء عند الواصف .

أما عنوان كتاب القضاعي الصحيح فهو : شهاب الأخبار في الحِكَم [وليس الحُكْم hukm] والأمثال والأدب من الأحاديث المروية عن الرسول المختار .

ثم ينقلنا الواصف إلى الخزانة العامة التي تحتفظ بأهم مجموعة خطية وأوسعها في المغرب العربي ؛ ١١٠٨٧ مخطوطة حسب وصفه بيد أن محمد إبراهيم الكتاني أعلن أمام مؤتمر دولي في الدار البيضاء أن عدد المخطوطات في الخزانة العامة وصل فيها في سنة ١٩٧١م «ناهز ثلاثين ألف مخطوط» ونُشر هذا الإعلان في وقائع المؤتمر (الدار البيضاء ١٩٩١م ، صفحة ١٧) الذي تجاهله الواصف تمامًا ؛ بل إن هناك اضطرابًا بين ما أعلن عنه محمد إبراهيم الكتاني وبين ما ذكره الواصف في الفهارس المنشورة وغير المنشورة . فقد أشار الكتاني إلى الجزء الأول من القسم الثالث المنشور سنة ١٩٧٣ الذي وضعه مع صالح التادلي ، لم يرد في الفهارس المنشورة . وأشار الكتاني إلى الجزء الثاني من القسم الثالث الذي وضعه مع صالح التادلي أيضًا «منذ سنوات» إلا أنه لم يرد مع الفهارس غير المنشورة عند الواصف . ثم ذكر لنا الواصف الفاضل بعض المخطوطات المهمة فيها :

١ – ثلاثة أقسام من المصحف شريف مكتوب بالخط الكوفي على رَق الغزال .

٢ – كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع لإبراهيم بن أحمد بن قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي كاتب سيرة السلطان زيدان بن المنصور السعدي . وقد أنهى سيرته في سنة ١٠٤٨هـ . وهذه أول نسخة معمولة من الكتاب الذي كتبه ووقعه المؤلف .

أقـول : إن هـذا القـول لا يقـوله إلا من ليس له إلمام بتاريخ المغرب إطلاقًا أو إن الأمر اختلط عليه ، وذلك:

أ – أن كتاب العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع هو لإبراهيم بن أحمد [نافع ؟] غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي المعروف بالربأس من نولش من إقليم غرناطة ، كما ورد اسمه في أول المخطوطة . وقد سمعت أن حسين مؤنس يقوم بتحقيقه فلعله نشره .

ب – إن أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي قد ترجم هذا الكتاب من اللغة الأسبانية إلى العربية وهو مؤلف كتاب رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب المفقود ، الذي اختصره في كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين الذي حققه محمد رزق ونشرته كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م على نسـخـة بخط المؤلف محفوظة بدار الكتب المصرية انتهى من نسخها بتونس سنة ١٠٥١هـ ، وكان عمره أربعًا وسبعين سنة . ومنها قطعة مضطربة بباريس . وسبق للمستشرقة الإيطالية سرنللي أن نشرت فصولاً منها وترجمتها إلى الإيطالية ، وأقوم الآن بتحقيقها وترجمتها إلى الإنجليزية بالاشتراك مع المستشرقين الهولنديين بيتر شورد فان كوننكزفيلد وخيرارد فيخرس لوجود بعض الهنات في طبعة محمد رزوق الذي له الفضل الأول في نشرها .

ج – إن الحجري لم يكن مؤرخًا في بلاط السلطان زيدان ، ولم يكتب سيرته ، وإنما كان ترجمانًا في بلاطه فحسب إذ ترجم للسلطان زيدان السعدي الزيج الزكوطي لإبراهيم السلمنكي من اللاتينية بمساعدة أسير راهب ومنه نسختان في الدار الحسنية . ثم إنه انتهى من ترجمة كتاب العز والمنافع بتونس في حلق الوادي منها في ١٣ ربيع الأول عام ١٠٤٨هـ كما ورد في آخر المخطوطة .

وهو لذلك لم يكن مؤلف الكتاب حتى يوقعه بخطه . فقد تكون النسخة بخط الحجري ، ولكنها ليست فريدة فإن منها نسخة في الخزانة الحسنية وأخرى في فينا وأخرى في الجزائر . (انظر : بروكلمان ٢/٤٦٦ ، ذكره بعنوان : العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع).

٢ – كتاب البرصان والعرجان والعميان [والحولان] للجاحظ.

وأقول : إن نسخة الخزانة العامة نسخة مصورة يا سيدي برقم : ٨٧ والأصل المخطوط في مسجد مدينة بزو ، فهي لذلك ليست من محتويات المكتبة إلا إذا نقلت هذه النسخة بعد ذلك إلى المكتبة العامة ، ولا أظن أن ذلك حدث. والحق هي من أندر النوادر بالرغم من نشرها مرتين بتحقيق محمد مرسي الخولي سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م بدار الاعتصام بالقاهرة ، وبتحقيق محمد عبدالسلام هارون سنة ١٩٨٢م ببغداد .

ثم نقلنا الواصف الفاضل إلى الجانب الآخر من أبي رقراق – النهر الجميل الذي يفصل الرباط عن سلا – حيث تقع الخزانة الصبيحية التي عرفنا من العلامة الفاضل محمد الحجي تاريخها ونوادر مخطوطاتها في بحثه الذي ألقاه في الدار البيضاء . وهو الذي وصف ١٣٣٧ مخطوطة من محتوياتها في الجزء الأول من فهارسها الذي نشر في الكويت سنة ١٩٨٥ .

وذكر الواصف أنها تحتوي على أربعة آلاف مخطوطة إضافة إلى ٢٥ ألف وثيقة أدبية وتاريخية لم نسمع بها من غيره . بيد أنه أشار إشارة مبهمة إلى قطعة من مخطوطة قال عنها إنها كتبت في القرن الثاني للهجرة، من إشارة المؤلف إلى شيخه إلا أنه لم يذكر لنا شيئاً يزيل هذا الإبهام الشديد ، وكنا نود أن قد فعل فهي والحال هذه لابدَّ وأن تكون تحفة تاريخية . وأضاف إن أقدم المخطوطات الكاملة في المكتبة تعود في تاريخها إلى ذلك القرن نفسه ، إلا أنه هنا أيضًا لم يخبرنا عنها ، وكنا نتوقع أنه سوف يذكرها مع النوادر بيد أنه لم يوردهما ضمن النوادر ؛ بل ذكر :

١ – كتاب صحيح البخاري بأربعة أجزاء .

٢ – كتاب الإتحاف الوجيز (تاريخ شاطئ النهر the history of the two river banks) لمحمد بن علي الدكالي .

٣ – كناشة القاطني أحمد بنَّاني والسيد بوشنتوف والسيد أحمد الصبيحي .

وأقول : إن كتاب صحيح البخاري يعد بحق من النفائس دون شك فهو بخط أندلسي جميل وعشاري

التجزئة . أما الكتاب الثاني فإن عنوانه الصحيح هو : الإتحاف الوجيز في أخبار العدوتين لمولاي عبدالعزيز لمحمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) ، وهو في أخبار الرباط وسلا اللتين تسميان بالعدوتين ، وليس في تاريخ الشاطئين إلا إذا كان هذا الخطأ يعود إلى سوء في الترجمة . وقد ذكره ابن سودة (دليل مؤرخ المغرب الأقصى ٢٧ - ٢٨) وقال : «يتضمن الخبر عن مدينة سلا بعدوتيها» وأشار إلى نسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط ، بينما صرح محمد حجي في بحثه السابق بقوله : «بالعدوتين سلا والرباط» (ص ١١٤) وأتحفنا بعناوين عشرين مخطوطة من نوادر الخزانة الصبيحية ونفائسها ، والتي منها : كتاب الفتيا في الفقه على مذهب مالك لمحمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي المتوفى سنة ٣٣٦هـ وكتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي وهي نسخة ملوكية مذهبة مجدولة مشكولة جزئياً إلا أنها ناقصة وكتاب غاية الأمنية وارتقاء الرتبة العلية في ذكر الأنساب الصقلية ذات الأنوار السنية لعبدالواحد بن محمد بن أحمد الفاسي الفهري المتوفى سنة ١٢١٣هـ . وذكر ابن سودة نسخة أخرى منها بخط المؤلف بالخزانة الفاسية (١/١١٥) .

أما مكتبة الزاوية الحمزية التي كانت تسمى الزاوية العياشية في سيدي حمزة فتحتوي على ١٢٠٢ مخطوطة عربية . ذكر الواصف من نوادرها :

١ - منظومة في منافع ومضار المواد الغذائية لصالح بن المعطي .
٢ - النوازل والأحكام للشريف العِلْمي ('Ilmî) .
٣ - شرح صغرى عقيدة السنوسي للإمام السنوسي .

أقول : إن العنوان الأول ينضح بالتكلف والحداثة ، وأظنه من وضع مفهرس معاصر . أما الثاني : فهو عند العابد الفاسي (٢/٣٦٩) النوازل الفقهية لعلي بن عيسى بن علي الحسيني ، الشريف العَلَمي وهو أيضاً كذلك عند بروكلمان (Alamî ') ملحق ٢/٩٦٠) وسماه: نوازل العلمي. أما الثالث : فإن المعروف أنه شرح العقيدة الصغرى ، وليس كما أورده الواصف الفاضل وهي التي تسمى : أم البراهين لأبي عبدالله محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة ٨٩٥هـ وهذه كلها ليست من نوادر الزاوية العياشية .

وفي تمكروت بإقليم ورزازات تقع دار الكتب الناصرية التي تحتفظ بـ ٤١٨٤ مخطوطة عربية ، وأشار الواصف إشارة خاصة إلى كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧هـ وقال : «ومما يبدو محتملاً أن هذه النسخة هي أقدم مخطوطة في هذه المكتبة القديمة تعود بتاريخها إلى بداية القرن الخامس للهجرة . إنها نسخة تامة وفي مجلد واحد ومكتوبة بخط شرقي (الصواب : مشرقي) .

أقول : هذا قول حسن جميل فإن أقدم نسختين منه في المشرق مكتوبتين بخط أندلسي رائع في حلاوته ونضارته وجمال تركيبه وسمو بيانه ، وأقدم نسخة منه مكتوبة بخط مشرقي موجودة في مكتبة الزاوية الناصرية في المغرب العزيز ، وهذا دليل ساطع ناطق على وحدة هذه الأمة وإن تباينت أصقاعها . أما الأولى فهي في الخزانة التيمورية ومؤرخة في سنة ٤٩٠هـ والثانية في المكتبة الأحمدية في حلب ومؤرخة في سنة ٥٤٥هـ وعليها خطوط الشقندي والربعي والطبنجي، وهذه كلها من الأندلس والمغرب . وقد نشر الكتاب مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م بتحقيق ياسين محمد السواس الذي قال عن خط النسخة التيمورية «بخط مغربي دقيق تصعب قراءته» ، فلو كان للسيد السواس ذوق فني مرهف ودربة على قراءة الخطوط بأنماطها لما نطق بما نمّ على جهله بالخطوط . وهو لم يفهم أن قطعة منها سقطت وأكملت بخط مشرقي مغاير كما يظهر من الصور التي نشرها مع الكتاب .

وذكر الواصف الفاضل أيضاً كتاب لطائف الإشارات في علم القراءات لأحمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣هـ ، وكتاب المنتخب في الأحكام القضائية لمحمد بن عبدالله بن أبي زمنين القرطبي المتوفى سنة ٣٩٩هـ.

أقول : إن الكتاب الأول له عنوان آخر هو : لطائف الإشارات لفنون القراءات وعنوان الكتاب الثاني هو منتخب الأحكام ، وليس كما ذكر الواصف فإن لفظة «القضائية» تفوح بـ «الحداثة والعصرنة» والتعمُّل وهي من صنع المفهرسين .

ثم يأخذنا الواصف إلى طنجة ونعلم منه أن مكتبة الجامع الكبير فيها تحتوي على ١٠٠ مخطوطة بالتمام والكمال منها البحر الجديد في تفسير القرآن المجيد لأحمد ابن عجيبة وزجر الواقعة لأبي العباس السبتي وشرح مقدمة الأجرومية لابن عجيبة أيضاً . ولا ينسى الواصف

في طنجة مكتبة عبدالله كنون التي تحتوي على ٧٩٠ مخطوطة عربية أهمها :

١ - شرح الوثائق القشتالية للونشريسي .

٢ - الحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي .

٣ - المفردات في الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية لأحمد بن محمد بن الحاج .

٤ - كتاب العمل بالكرة الفلكية لقسطا اليوناني .

أقول : إن عنوان الكتاب الثالث الصحيح هو : الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية كما في نسخة الخزانة الحسنية (٩٨/٢) . أما الكتاب الرابع فهو لقسطا بن لوقا البعلبكي كما جاء عند النديم وغيره ومنه نسخة في الخزانة الحسنية أيضاً (٣٩٥/٣) .

وفي تروندت ذكر الواصف مكتبة الإمام علي التي حوت ١٩٠ مخطوطة عربية ومكتبة المعهد الإسلامي التي حوت ١٨٣ مخطوطة عربية، وأورد بعض النوادر فيها مثل: فتح الباري لأحمد بن حزم السقيلاني al-Siqilânî وكتاب كفاية المتحفظ لابن الأجدعي الحافظ أبي إسحق الطرابلسي وأوائل كتب الحديث لعلي عبدالله بن سالم محمد البصري المكي وفهرسه (كذا) لمحمد بن محمد الأمير .

أقول للأخ الفاضل : إذا كنا لا نعرف السقيلاني فإننا نعرف أن كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية هو للأجدابي وليس لابن الأجدعي . أما كتاب أوائل الحديث فهو الإمداد بمعرفة علو الإسناد لعبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى البصري المكي المتوفى سنة ١١٣٤هـ. ويسمى أيضاً : الإفراد في معرفة علو الإسناد . والظاهر أن المفهرس أو الناسخ صنع العنوان مما يظهر في أول الثبت : «أما بعد فهذه أحاديث من أوائل الكتب الستة وغيرها» . وقد يسمى بـ : ثبت البصري أيضاً . أما ثبت الأمير أو فهرسة الأمير فهو مشهور مذكور (انظر مثلاً : فهرس الأزهرية ٣٣٠/١) .

أما مكتبة الجامع الكبير بتازه فقد ذكر الواصف أنها تحتوي على ٧٠٣ مخطوطات، وأن أقدم مخطوطة فيها مؤرخة في سنة ٧٣٠هـ إلا أنه لم يذكر لنا عنوانها وإنما ذكر من مخطوطاتها المهمة :

١ - شرح خطبة الكتاب المختصر لخليل بن إسحق بن أبي البركات يحيى بن أبي البركات .

٢ - العقد المنظم للأحكام لابن سلمون الكتاني .

٣ - حاشية على شرح كتاب فقهي لمجهول .

أقول : إن العنوان الصحيح للكتاب الأول المشروح هو: كتاب المختصر في فروع الفقه المالكي لخليل بن إسحق بن موسى الجندي المالكي المتوفى سنة ٧٦٧هـ أو ٧٧٦هـ على اختلاف الروايات أما شرح كتاب المختصر فهو لناصر الدين محمد بن حسن اللقاني المتوفى سنة ٩٥٨هـ .

أما الكتاب الثاني فهو : العقد المنظم للحكّام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام لأبي القاسم بن سلمون بن علي الكناني (al-Kinânî وليس الكتاني al-Kattânî) البياسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٦٧هـ ومنه نسخ عديدة .

ويصل المطاف بنا مع الواصف الفاضل إلى مدينة تطوان فيذكر فيها المكتبة الدعودية التي أنشأها الفقيه الشيخ محمد دعود وذكر أنها تحتوي على ٢٠٩ مخطوطات، ومكتبة المسجد الكبير التي تحتوي على ٨٠ مخطوطة ومكتبة المعهد الديني العلمي، وفيها ١٠٠ مخطوطة ومكتبة مولاي حسن للبحث، وفيها ٤١ مخطوطة ومكتبة الخزانة العامة والمخطوطات، وفيها ١٨٨٠ مخطوطة إلا أن هذا العدد ارتفع إلى ٢٤١١ في قائمة المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان التي ذكرها ضمن ما لم ينشر من فهارسها (٣٤٢/٢) .

الغريب جداً أن الواصف الفاضل لم يستفد كثيراً من المنشورات الكثيرة التي وصفت الكثير من النوادر في المكتبات المغربية ، وبخاصة بحوث المنوني ومحمد الحجي وأحمد التوفيق ومحمد بن عبدالعزيز الدباغ وغيرهم وبالأخص كتاب أحمد شوقي بنبين : Histoir des Bibliotheques au Maroc .

الواضح أن الواصف لم يضن بالجهد في وصف الفهارس المنشورة وغير المنشورة في المغرب إلا أنه واضح أيضاً أنه لم يحسن اختيار النوادر من المجاميع ؛ لأنه اختار جملة منها على أساس عشوائي ، ولم يعلل هذا الاختيار ، ويصح هذا على المخطوطات التي لا يعرف لها مؤلف أو إن عناوينها مشوك فيها . ومع كل هذا فإنه أحسن كل الإحسان في تعريف القارئ المهتم على مظان المجموعات المعروفة والمجهولة . ولابدَّ أن هناك ثروة هائلة لم تكتشف في المغرب بعد .

[وللبحث صلة]